مستوى ثالث تاريخ

مقرر مدخل إلى علم التاريخ

الدكتور/ محمد أحمد جودة

١٤٣٤ - ١٤٣٥هـ

إعداد :أبعاد الحفر

أبعاد الحفر

لمحاضرة الأولى

التاريخ مفهومه ونشأته

علم التاريخ نشأته وتطوره:

لفظ تاريخ ومدلوله لغة واصطلاحا:

يرجع الكثير من الكتاب العرب لفظ التاريخ مشتق من اللفظ (arch) الذي ينطق في اليونانية أرخ ومعناه القديم أو القدم ، وهو اللفظ الذي أتى منه مصطلح علم الآثار القديمة اركيولوجى (archaeology). ويستعمل اللفظ اليوناني بعد دخوله اللغات الأوروبية في معنى الأصل أو الأصيل فيقال arch type أي النموذج الأول . ولفظ history وما يقابله في الايطالية storia وفى الفرنسية histoire مشتق من لفظ ستوريا اليوناني ومعناه الحكاية، وقد دخل هذا اللفظ اللغة العربية قبل الإسلام بمعنى الحكاية أو القصة. وأصبح لفظ تأريخ هو اللفظ الشائع عند العرب.

وتاريخ كل شيء من حيث اللغة هو غايته ووقته الذي ينتهي إليه ، ولهذا يقال : فلان تاريخ قومه في الجود أي الذي انتهى إليه ذلك.

واصطلاحا:

التاريخ ، هو تعريف بالوقت ، والتاريخ على العموم يعني التوقيت ، أي تحديد زمن الأحداث وأوقات حدوثها . وتعني الزمن والحقبة.

وقد أشار شمس الدين السخاوي في كتابه الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (أن التاريخ فن يبحث عن وقائع الزمان من حيث توقيتها . وموضوعه الإنسان والزمان).

ويقصر أغلب المؤرخين معنى التاريخ على بحث واستقصاء حوادث الماضي، أي كل ما يتعلق بالإنسان منذ بدأ يترك آثاره على الأرض.

وحينما أخذ الإنسان البدائي منذ فجر المدنية يقص على أبنائه قصص أسلافه ممتزجة بأساطيره ومعتقداته، بدأ التاريخ يظهر إلى حيز الوجود في صورة بدائية أولية وتدرج التعبير عن التاريخ مختلطا أولا بعناصر من الفن ، كالرسم والنقش على الحجر. وعندما سارت البشرية قدما في مضمار الحضارة في شتى أساليبها

وصورها ، رويدا رويدا، أخذ التاريخ يشكل أساسا جوهريا في تسجيل موكب البشرية الحافل، إذ هو المرأة والسجل الشامل الذي يقدم لنا ألوانا من الإحداث وفنونا من الأفكار والآثار.

ويعتبر تعريف ابن خلدون للتاريخ من أدق واشمل التعريفات وأشار إليه الكثير من كبار المؤرخين حيث يقول في مقدمة كتابه : إن التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال وتشد إليه الركائب والرحال وتسمو إلى معرفته السوقة والإغفال، وتتنافس فيه الملوك والاقيال، وتضرب فيها الأمثال، وتطرف بها الأندية إذ غصها الاحتفال وتؤدى ألينا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال، واتسع للدول فيها النطاق والمجال، وعمرو الأرض حتى نادي بهم الارتحال، وحان لهم الزوال، وفى باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيتها وأسبابها عميق، فهو لهذا أصيل في الحكمة عريق.

أطوار الكتابة التاريخية:

مرت الكتابة التاريخية في أطوار متعددة . ففي وقت كان التاريخ مجرد سرد للأحداث أو تدوينها دون نقد أو تمحيص أو محاولة التثبت من صحتها.

أول صورة دون بها التاريخ كانت في صورة قصصية.

أقدم التواريخ المدونة هي ما جاء في أسفار(التوراة و العهد القديم) حيث ذكرت الأخبار الأولى عن الأحداث التي مرت بالخليقة منذ نشأتها الأولى (كقصة خلق الإنسان ، والطوفان ....) ، ولذلك تمدنا الكتب السماوية بالمعلومات التاريخية الأولى عن حياة الإنسان وعلاقته بالآخرين على الأرض مسرح الأحداث .

وهذا يؤكد أن التاريخ موضوعة الإنسان والزمان ، فقد بدأ الإنسان منذ فجر الخليقة يحكي لأبنائه وأحفاده القصص عن الأجداد والسلف ، وبالطبع امتزجت هذه القصص الحقيقية بالخيال ، وبذا بدأ الإنسان يهتم بأخبار أسلافه السابقين.

وقبل أن يتعرف الإنسان على الكتابة عبر عن هذه الأفكار التي جالت في أذهانه بالرسم والنقش على الحجر مستخدما في ذلك ما أمكنه استخدامه من آلات وأدوات ومواد، ومن ثم ترك لنا الإنسان الأول على جدران الكهوف والمغاور من الأماكن التي سكنها ما يمكن أن نستدل به عن بعض أفكاره وعن نظم حياته ومعتقداته.

ومع تقدم الإنسان تطورت حياته ، كما تطورت وسائل التعبير عن أفكاره ومعتقداته وأسلوب حياته حتى عرف الكتابة ، فكانت طفرة عظيمة في مجال تسجيل الأحداث

.وكما ذكرنا فقد حرص الإنسان على تناقل قصص الأحداث السابقة لأبنائه وأحفاده ولم تخل هذه الأخبار من التحريف والإضافات مما يضفي على هؤلاء الأسلاف ثوبا من البطولات والتمجيد.

ولعل الهدف الأساسي هو اتخاذ العظة والعبرة من الماضي ، وتوضيح الحاضر ، والنظر إلى المستقبل في ضوء هذا الماضي بعظاته وعبره.

محاولات تدوين الأحداث التاريخية الأولى:

من المعروف أن أول ما وصلنا من التواريخ هو ما كتبه المصريون والبابليون والأشوريون.

-أيام المصريين القدماء: قام الكاهن (مانيتون) الذي عاصر بطليموس الأول والثاني بوضع تاريخ لمصر القديمة على نظام الحوليات، لكنه فقد ولم يبق منه إلا شذرات قليله

-البابليين:(بيروسوس) ألف كتاب عن تاريخ بابل ٢٥٠ ق. م لكنه فقد أيضا.

- الإغريق :وقد كتب تاليس المليتى وهو أحد الفلاسفة الإغريق عن كسوف الشمس وتنباء به وصحت نبؤته، وكان ذلك ايذانا بافتتاح عصر جديد فى تحرر العقل البشرى.

ثم جاء هيكاتيوس المليتى وفصل بين الحقبقة والاسطورة كما كتب عن أصل الشعب الإغريقي في القرن السادس قبل الميلاد.

ويعتبر الشاعر هوميروس صاحب ملحمتى الالياذة والاوديسيا ملهم أمته فى هذا المجال.

أما هيرودوت فهو أبو التاريخ كما يطلق عليه حتى الان ، والذى قام برحلات عديدة زار فيها أقطار الشرق باحثا عن تارخ الامم وماضيها. وكتب هيرودوت تسعة كتب أطلق عليها أسم التواريخ.

ومن أقوال هيرودوت الشهيرة في مقدمة كتابه (انه يدون التاريخ حتى لا يطمس الزمن أعمال الرجال ، وحتى لا تبقى الانجازات الرائعة دون تمجيد أو إعجاب، سواء ذلك في منجزات الإغريق أو

مآثر المتبربرين). وكتب عن النزاع بين الإغريق والفرس.

والمؤرخ ثوكيديدس الذي كتب عن الحروب البلبونيزية التي دارت بين أثينا واسبرطة في بلاد اليونان، يمثل الاتجاه العلمي العقلي في الكتابة التاريخية . فهو يقول (أنه يكتب من أجل الفائدة التي يمكن أن نحصل عليها من معرفة حقائق الماضي، ومن ثم نضع مقاييس سليمة للأحداث المتشابهة التي يمكن أن تقع مستقبلا ترتيبا على الطبيعة المشتركة بين البشر).

كان هذا هو النمط الجديد في كتابة التاريخ حيث تميز ثوكيديدس عن هيرودوت في انه أكد على ضرورة الاستناد إلى الوثائق فى تفسير الإحداث، كما اقر وأكد على أن البحث التاريخي يقوم على المصادر التاريخية.

ملاحظة : تميزت كتابات الإغريق بالبعد عن الخرافات والأساطير وبمحاولة الوصول إلى تفسير منطقي للأحداث .

٤- **الرومان:**

نستطيع أن نلمس بوضوح فرقا واضحا بين المؤرخين الإغريق والمؤرخون الرومان. فالرومان بطبيعتهم ماديون تغلب عليهم النزعة النفعية، والتي كانت سببا في إنشاء روما لدورا لسجلات الرسمية التي تخضع لإشراف هيئات دينية، ومن هذه السجلات كتب الحوليات ومدونات الأحداث عاما بعد عام.

وكان المؤرخون الرومان يبحثون في كل كتاباتهم عن محور رئيسي هو روما ذاتها، واعتبر المؤرخ نفسه صاحب رسالة فى أمته، فهو يؤدى وظيفة وطنية حيث يتحدث عن أمجاد وطنه. وهذه روح مادية نفعية كان لها أثر ضار على روح البحث الحيادي الموضوعي، وعلى النقض الهادف الرشيد والمعرفة الجادة.

(بوليبيوس)الإغريقي عاش في القرن الثاني قبل الميلاد وكتب عن المدينة الرومانية ، فتوح الرومان أنظمتهم السياسية والاقتصادية..

-(يوليوس قيصر)٥١ق.م . كتب عن حرب الغالة وعن انتصاره على بومبي .

-(ليفيوس) ألف في تاريخ الجمهورية الرومانية .

- (تاكيتوس) تحدث عن الفساد الاجتماعي والتدهور الخلقي في روما .

المسيحية :

استحدثت المسيحية فكرتين رئيسيتين في كتابة التاريخ بعد النمط الأغريقى والروماني: الأولى هي فكرة التفاؤل بالطبيعة الإنسانية، والثانية هي التي تقر بوجود قيم أبدية خالدة تكمن وراء عملية التغيير التاريخي. وبذلك فقد غيرت المسيحية المنهج التاريخي الروماني، كما جاءت المسيحية بثروة هائلة جديدة من القصص والإحداث المستوحاة من التوراة، وكانت الشعوب في تلك الفترة في أمس الحاجة إلى هذه الثروة التي تمثل غذاء روحيا لها. وقام بهذا العمل أباء الكنيسة وعلى رأسهم القديس أوغسطين والذي فتح للتاريخ أفاقا واسعة حيث نظر للتاريخ نظرة إجمالية وحاول تفسيرها.

العصور الوسطى :

تعتبر كتابة التاريخ في العصور الوسطى رجوعا إلى الأسلوب الذي درج عليه المؤرخون الإغريق والرومان إذ اعتمدوا على المصادر التقليدية دون أن يقوموا بنقدها وتفنيدها. ولم يقوموا بتحليلها تحليلا علميا دقيقا، باستثناء بعض المحاولات الفردية التي تستند إلى التقدير الشخصي. وسيطرت على مؤرخي العصور الوسطى فكرة أن التاريخ يمضى بمشيئة ألاهية والإنسان فيها عنصر يؤدى مهمته وفقا لهذه المشيئة. وانتقل تيار الفكر التاريخي من دراسة اجتماعية إلى مجرد دراسة محدودة تنبثق من سلطان الكنيسة.

ومن هنا اتسمت كتابة التاريخ في العصور الوسطى بإهمال الدور البشرى فيه ومن ثم لم يكن هناك مجال للنقد أو التحليل.

وعرفت العصور الوسطى التراجم التاريخية التي تتناول سير القديسين لتكريمهم وتخليدهم ، وقد امتلأت هذه التراجم بالمبالغات. وأصبح رجال الدين في العصور الوسطى مؤرخين.

ويمكن القول أنه في العصور الوسطى ازدهرت ثلاث أنواع من الكتابات التاريخية : - السير biographies - الحوليات annals – الوقائع chronicles .

وقد تناولت الكتابات التاريخية في العصور الوسطى أيضا الأحداث ذات الأهمية الخاصة مثل حملة فردريك الأول على ايطاليا والحروب الصليبية.

ولدينا من كتاب التاريخ فى العصور الوسطى :

- نانت في فرنسا ١٠٤٩م. وفيليب دي كومين (أبي التاريخ الحديث)

- الأنجلو سكسوني في ألمانيا ١١٥٤م .

- ماثيوباريس في بريطانيا صاحب التاريخ الأكبر ١٢٥٥م.

- بلوندوس الايطالي دعا إلى رفض الأساطير وتحكيم العقل ١٤٦٣م

٦-في عصر النهضة الأوربية

عاد الناس إلى تقسيم التاريخ بوصفة دراسة اجتماعية تستند إلى اسلوب علمي وفى كتابته تستند إلى أعمال الإنسان ونشاطه في تحديد مساره كما كان الحال في العصر اليوناني والروماني.

- صبغ التاريخ بالصبغة الزمنية وأصبح يكتب من قبل العلمانيين وليس رجال الدين.٠- وعادت الدراسات القديمة اللاتينية والإغريقية ودورها في تغيير الكتابة التاريخية. –كما ظهرت روح النقد والتمحيص والتحليل للمراجع والمصادر الاصليه واستبعاد مالا يثبت صحته. وممن اشتهر في ذلك:

- لورنزو فلا في كتابه منحة قسطنطين.

-مكيافيللي صاحب كتاب (الأمير) و (تاريخ فلورنسا).

- فرجيل كتب عن تاريخ انجلترا في عهد هنري السابع.

-مارتن لوثر ١٥٤٦م زعيم حركة الإصلاح الديني الذي كان يدعوا الناس لدراسة الكتاب المقدس بأنفسهم دون الاعتماد على البابوية فأنار روح النقد والتحليل لديهم.

لقد استفاد التاريخ من الجدل المذهبي الكاثوليكي والبروتستانتي اكبر فائدة من حيث جمع مادة علمية ضخمة اتسمت بروح النقد والتمحيص.

اندفعت الشعوب الأوربية إلى التلاحم والتكاتف وتسجيل التاريخ المشترك.وظهرت بذلك الدولة الوطنية الحديثة.

وقد حدث بعد ذلك موجات من الاستعمار الأوروبي الذي سلب الشعوب ثرواتها فظهرت الطبقية واضطربت الأحوال الاجتماعية وتكونت الشركات الرأسمالية ، والإقطاعية وتدهورت أحوال دول وانتعشت أخرى ، وظهر نظام الحكم المطلق في أوروبا وترتب على ذلك:

- الصراع بين اسبانيا والأراضي المنخفضة.

-الصراع بين الملكية وطبقة النبلاء في فرنسا.

- الثورة الدستورية في انجلترا.

ويهمنا القول أن جميع الأطراف المتصارعة كانت حريصة على شحذ أقلام كتابها للتفاخر بقضيتهم وإسقاط صورة أعدائهم ، فأسهم ذلك في وفرة مادة للتطور السياسي والدستوري أحيانا.

ثم جائت حركة الاستنارة في القرن الثامن عشر:

إذ بدأ الاهتمام بانشاء الأكاديميات وبرز منتسكيو في كتابه (روح القوانين) وجان جاك روسو (العقد الاجتماعي).وفولتير (عصر لويس الرابع عشر) ، وجيبون(تاريخ اضمحلال وسقوط الدولة الرومانية) ، وولف الألماني وهردر(روسو الألمان) ونيبور.

و في القرن التاسع عشر :

برز الاهتمام بجمع المصادر التاريخية ونشرها

وظهرت في -ألمانيا : (جمعية دراسة التاريخ الألماني). - فرنسا : (جمعية تاريخ فرنسا). -بريطانيا : (مصلحة المطبوعات الرسمية).(لجنة المخطوطات التاريخية)- الولايات المتحدة الأمريكية (جامعة هارفارد ، كولومبيا، متشيجان..).

المحاضرة الثانية

تمهيد:

تحدثنا في المحاضرة السابقة عن مفهوم علم التاريخ وتطوره عبر العصور المختلفة والمؤثرات التي أثرت على الكتابة التاريخية. والسؤال المهم هنا :

- هل هناك تقسيمات محددة للعصور التاريخية ؟

- هل كان للعرب في الجاهلية (عرب قبل الإسلام) اهتمام بالتاريخ؟

٢-ما التغير الذي طرأ على الكتابة التاريخية بعد الإسلام؟

٣- ما الأطوار التاريخية التي مر بها هذا التغير؟

٤ـ ما العوامل التي أثرت في الكتابة التاريخية عند العرب؟

ميدان التاريخ واسع وكبير، ولهذا قام المؤرخون بتقسيمه إلى أقسام رئيسية عديدة معتمدة على الزمان والمكان والإحداث .
وتختلف الحقَب الزمنية الرئيسية في دراسة التاريخ من منطقة لأخرى ففي مصر والشرق الأدنى على سبيل المثال يبدأ التاريخ بتقسيم عام يشمل فترتين رئيسيتين هما عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية، وكل منهما يندرج تحته عدة تقسيمات. وتتفق منطقة الشرق الأدنى القديم في تقسيماتها إلى حد كبير خاصة في فترات ما قبل التاريخ إذ تنقسم في معظمها إلى ثلاث فترات – العصور الحجرية القديمة – العصور الحجرية الوسيطة - العصور الحجرية الحديثة.

وغالبا ما يكون العصر الحجري الحديث هو عصر اكتشاف الزراعة. إلى جانب إن تلك العصور في معظم الأحيان لم يتوصل فيها الإنسان إلى الكتابة، ربما فقط بعد المحاولات والمبادئ التي مهدت لظهور الكتابة بعد ذلك ، ثم بداية العصور التاريخية بتقسيماتها المختلفة حسب كل منطقة.

وكان لاكتشاف الزراعة ثم الكتابة أكبر الأثر في تقسيم العصور تاريخيا.

وفي الغرب قسم المؤرخون التاريخ الغربي إلى ثلاثة عصور هي : - العصور القديمة من ٣٠٠٠ ق.م- ٤٠٠م

ـ العصور الوسطى من ٤٠٠ م - ١٥٠٠م .
ـ العصور الحديثة من ١٥٠٠م حتى الوقت الحاضر.
يمكن للعلماء بالمقابل، تقسيم تلك الحقب (الأزمنة)إلى فترات أكثر قصرًا، على سبيل المثال نجد العصور القديمة أو الكلاسيكية وتنقسم إلى العصر اليوناني والعصر الروماني، ويطلقون على الفترة الموازية لها في الشرق العصر الهيلنستى..

ساعد تقسيم التاريخ إلى حقب المؤرخين على تنظيم وتركيز دراساتهم غير أنَّ هذا التقسيم قد يؤدي إلى تشويه الشواهد المقدمة من قبل التاريخ.فقد ظنّ المؤرخون زمانًا أنَّ العصور الوسطى في أوروبا حقبة للمعتقدات الخرافية والفوضى، جاءت بين حقبتين من التاريخ، وقد حالت وجهة النظر هذه دون إدراك أن العصور الوسطى كان لها حيويتها الخاصة التي تشكل الأسس للحضارة الأوروبية الحديثة.

يستخدم تقسيم التاريخ إلى عصور قديمة، ووسطى، وحديثة، للمجتمعات الأوروبية فقط، بينما تعتمد أعمال المؤرخين الذين يدرسون المجتمعات الآسيوية أو الإفريقية، على تقسيمات مختلفة كليًا. وكذلك تتباين طرق التأريخ لأن المجتمع الغربي يستخدم ميلاد السيد المسيح فاصلاً زمنيًا، تسمى السنوات الواقعة قبله قبل الميلاد، والتي بعده تسمى ميلادية. ويؤرخ المسلمون بهجرة النبي محمد بن عبدا لله (صلى الله عليه وسلم) من مكة إلى المدينة المنورة (٦٢٢م) معتمدين على الأشهر القمرية ومتخذين من شهر محرم أول شهور سنتهم.

أما التقسيم على أساس الشعوب، فيتضمن على سبيل المثال، دراسة تاريخ العرب، والأوروبيين، والبريطانيين، والفرنسيين، والأمريكيين، والصينيين.
يُمكِّن التقسيم حسب الموضوعات، المؤرخين من التعامل مع مظاهر خاصة من النشاط البشري في العصور الماضية، فقد يدرس العديد من المؤرخين الاقتصاد والاجتماع والتاريخ الفكري، بالإضافة لدراسة التاريخ السياسي التقليدي.

ويركِّز بعض المؤرخين على مواضيع متخصصة مثل تاريخ العلم، أو تاريخ مجموعة عرقية، أو تاريخ مدينة، وهذا الجانب برز بشكل ملفت للنظر في التأريخ الإسلامي حيث انصرف العديد من المؤرخين العرب الإسلاميين لوضع تواريخ خاصة بالعديد من المدن مثل: تاريخ مكة المكرمة، دمشق، بغداد، القاهرة.

لقد كانت البشرية بالفعل في حاجة ماسة إلى التقسيم التاريخ للحفاظ على كل هذا التراث الانسانى والحضاري غير المحدود وسهولة استعراضه ودراسته مهما اختلفت وسائل الدراسة والبحث ومهما تنوعت الموضوعات والتفاصيل، ومهما طالت أو قصرت الفترة الزمنية.

علم التاريخ عند العرب

أما عن التاريخ عند العرب في الجاهلية فلم يكن هناك تاريخ كما هو معروف من هذا اللفظ اليوم (بمفهومه علم التاريخ)ولكنهم كانوا يتناقلون أخباراً متفرقة بعضها حدث في بلادهم والبعض الآخر نقله إليهم الذين عاشروهم من الأمم الأخرى، فمن أمثال أخبارهم حروب القبائل المعروفة بـ(أيام العرب) وقصة سد مأرب واستيلاء أبي كرب تبان أسعد على اليمن وبعض من خلفه وملك ذي نواس وقصة أصحاب الأخدود وفتح الحبشة لليمن وقصة أصحاب الفيل وقدومهم للكعبة.

وعن علاقة العرب بجوارهم:

كانت للعرب قبل الإسلام صلاتهم ببعض الشعوب المجاورة لهم كالروم والفرس , سواء بسبب الاحتكاك التجاري أو الحربي، لذلك كان طبيعيا أن تتناول قصصهم ورواياتهم شيئا من تاريخ هذه الشعوب وأخبارها .

كان العرب قبل الإسلام يحددون الأوقات بالنجوم والأهلة ، كما كانوا يؤرخون عن طريق تسمية الأعوام بالأحداث العظيمة الحاسمة ، والوقائع المشهورة كعام الفيل ، وبناء الكعبة .... .وظل الأمر كذلك حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب الذي اتخذ الهجرة النبوية بداية للتاريخ العربي الإسلامي، فمضى الأمر على ذلك حتى وقتنا الحالي .

ورغم ذلك تم العثور على نقوش مدونه في اليمن تحكي أخبار ملوكهم وحياتهم العامة وكذلك لدى ملوك الحيرة..

كان العرب يتناقلون أحداث أيامهم ومعاركهم وبطولاتهم في انتصاراتهم عن طريق الرواية الشفوية ويتفاخرون بالشعر والنثر ، وان كان هناك نوعا من المبالغة في ذلك .

كذلك ظهرت مسألة التفاخر بالأنساب ، فالقبيلة تتفاخر بنسبها وتحرص على أن تلقنه لأبنائها وأحفادها مع ما يتخلل ذلك من قصص البطولات بصورة نثرية وشعرية .

ومن أمثلة ذلك ما وصلنا عن أخبار عرب اليمن وملوكهم ، وكذلك منافسة عرب الشمال لهم . هذا بالإضافة إلى ما عرف بأيام العرب.

أيام العرب :

هي وقائع العرب قبل الإسلام، تناول الإخباريون والعامة أيام العرب من الناحية مكارم الأخلاق والملاحم والبطولات والنواحي الأدبية من شعر ونثر أكثر من كونها وثائق عسكرية. فهي ليست وثائق عسكرية تتحدث عن معارك حربية، وتصور روحًا قتالية مستمرة، ولكنها ذات محتوى درامي ورسالة أدبية ووظيفة ملحمية تكتسبها من الصوت الإبداعي المنبثق من وجدان الأمة العربية.

إن علم أيام العرب هو علم يبحث عن الوقائع العظيمة ، والأهوال الشديدة بين القبائل ..لذلك ينبغي أن يجعل فرعاً من فروع التواريخ .

ولم يكن للأخبار والروايات في البداية أسانيد ، بل استمرت كجزء من الثقافة العامة وهي تهم الجميع ، وكان رواة الشعر أو مشايخ القبائل هم الرواة الاساسيون لها ،

وهكذا استمر الوضع إلى فترة في المجتمع الإسلامي الأول كما كان الوضع قبل الإسلام – لكن ظهور الإسلام ، واستقرار القبائل في الأمصار أدي إلى تغيير كبير خاصة حين بدأ الاهتمام بالكتابة والقراءة وحدثت ثورة ثقافية كان للتاريخ بالطبع نصيبه فيها .

وإذا ما قارنا تفاصيل الأخبار في كتب المؤرخين المسلمين بما كان يوجد قبل الإسلام ؛ فإنه من الملاحظ أنها قد تعددت بشكل لم يسبق إليه؛ بحيث كانت تكتب بأسلوب الشفرة أي قصيرة جدا، ودسمة جدا، والسطر الواحد قد يشتمل على أخبار بجزئيات نادرة تجعل منها أشبه بمتحف للمعلومات. ومثل هذا الجمع للأخبار التاريخية، لا يوجد إلا عند المؤرخين المسلمين وحدهم، ولم يظهر في حجمه الكبير هذا من قبل ولا من بعد.

علم التاريخ عند المسلمين

فأوجد المسلمون علوما كثيرة ، والعلوم لا تقوم إلا على المنهجية؛ فهم لم يكونوا مجرد نقلة. ولا شك أن علم التاريخ، وهو مظهر من مظاهر تقدم حضارة المسلمين في العصور الوسطى، قد ألفوا فيه كتبا عديدة، وزاد عدد المؤرخين عندهم زيادة كبيرة؛ حتى أنها لا تقارن بما كان يوجد قبلهم، أو لدى غيرهم؛ بحيث أن علم التاريخ في عصرنا يدين لهم بالكثير.

والواقع؛ كان للمؤرخين المسلمين قدم راسخة في إبراز منهجية علم التاريخ؛ لتعنى ما يتمثل من قواعد ومعايير ضرورية يلتزم بها القائمون عليها؛ إذ أن الحقيقة التاريخية ليست شيئا جامدا، وإنما بالأولى هي مرحلة فاصلة في شيء تجريبي متصل بغيره؛ وتعتبر جزءا من وعي المؤرخ؛ بقصد التوضيح والوصول إلى غاية محددة.

المحاضرة الثالثة

العلل المباشرة لم تعد الأسباب الحقيقية للأحداث:

رأينا كيف تطورت الكتابة التاريخية فلم يقتصر الأمر على مجرد ترديد للقصص أو بسط للوقائع التي كان العالم مسرحاً لها ، لكن أصبح من الضروري دراسة العلل المباشرة للأحداث ،ثم بحث العوامل العامة التي كانت ذات أثر في تكوينها زمناً طويلا ، فحوادث التاريخ لا تقع فجأة لكنها في الحقيقة نتيجة سلسلة طويلة من الوقائع ، وإن كانت عللها المباشرة تبدو كأنها هي الأسباب الوحيدة للأحداث .

فإذا قصرنا بحثنا مثلا – عن أسباب الحرب العالمية الأولى – على الأسباب المباشرة ، وعلى تتبع المفاوضات الدبلوماسية التي انتهت بانقضاض بعض الأمم الأوربية الكبرى على بعض – لحكمنا على أن الأقطاب الذين انتهى بهم المطاف إلى الحرب قد أصيبوا بالجنون . فالأسباب المباشرة لا يمكن أن تبرر قيام الحرب – لكن الأمر في حقيقته غير ذلك فهو يرجع لسلسلة من العلل البعيدة التي كانت في قوتها أشد من أرادة هؤلاء الساسة .

فالمؤرخ إذاً لابد أن يبحث عن هذه العلل المتعددة الخفية البعيدة في زمنها عن زمن الأحداث ذاتها .

دور الإنسان في الأحداث التاريخية

لم يقتصر دور المؤرخون في تفسيرهم للأحداث على أن قدرة ربانية قاهرة كانت توجه الأمور ، وتنظيم مصير المعارك فلا تقع أية حادثة خارج إرادتها . فمع الإيمان بهذه القوة الربانية العظمى –فإننا نبحث أيضاً في دور الإنسان في الحوادث التاريخية . فلم يصبح مبدأ (القدرية) وحده مقبولا في تفسير أحداث التاريخ – فقد انقضى العصر الذي كان فيه ينظر إلى الأحداث التاريخية من الوجهة اللاهوتية فحسب .

تصنيف التاريخ

هل هو علم ؟

وإذا كان كذلك فإلى أي أنوع العلوم ينتمي ؟

أم أن التاريخ فن أو أدب ؟

وبالطبع أدى هذا لسلسلة أخرى من التساؤلات مثل :

ما الذي يبحث فيه التاريخ ؟

ما هو موضوعه ؟

ما هي أهدافه؟

ما الفائدة من دراسته وتدريسه ؟

ما الشروط اللازم توفرها فيمن يتعرض للبحث التاريخي ؟

هل يحتاج هذا الباحث للتزود بقدر من المعرفة في علوم أخرى ؟

ما هو المنهج الذي يتعين أن يتبعه الباحث في التاريخ ؟

وسنحاول في الفصول التالية الرد على التساؤلات وغيرها مما يثار حول (التاريخ)

اختلف رجال العلم والتاريخ والأدب في وضع التاريخ وفي نسبته إلى أي فرع من فروع المعرفة الإنسانية ،فذهب البعض إلى أن التاريخ لا يمكن أن يكون علماً ، فلا يمكن إخضاع الوقائع التاريخية لما يخضعها له العلم من المادية والمشاهدة والفحص والاختيار والتجربة وبذلك لا يمكن في دراسته استخلاص قوانين علمية يقينية ثابتة على نحو ما هو موجود بالنسبة لعلم الطبيعة أو علم الكيمياء مثلاً . فقيام عنصر المصادفة ، ووجود عنصر الشخصية الإنسانية . وحرية الإرادة ، مما يهدم الجهود الرامية إلى إقامة التاريخ على أسس علمية ، على نحو ما يفعل علماء الطبيعة أو الكيمياء وغيرها ....

وهكذا أستبعد التاريخ(من وجهة نظر البعض) من زمرة العلوم بسبب:

(أ) الاختيار والتجربة أمران غير ممكنين في الدراسة التاريخية .

(ب) كل واقعة من وقائع التاريخ قائمة بذاتها ، ولا يمكن أن تتكرر ظروف وقوعها . (جـ) لا يمكن الوصول في التاريخ إلى شيء من قبيل (التعميمات) أو (القوانين العلمية) .

وأضاف مؤيدي هذا الاتجاه أسباب أخرى وهى:

١-يتأثر التاريخ الإنساني في سيره تأثيراً قوياً بنمو المعرفة الإنسانية .

٢- لا يمكن لنا بالطرق العقلية أو العلمية أن نتنبأ بكيفية نمو معارفنا العلمية .

٣- إذن فلا يمكنا التنبؤ بمستقبل سير التاريخ الإنساني .

٤- هذا معناه أننا يجب أن نرفض إمكان قيام علم تاريخي اجتماعي يقابل علم الطبيعة .

٥-إذن فقد أخطأ المذهب التاريخي في تصوره للغاية الأساسية التي يتوسل إليها بمناهجه .

هذا ويرى آخرون أن التاريخ نوع من الأدب فهو يعنى بالتدوين القصصي لمجرى الأحداث . والقصة بلا شك هي من أبواب (الإنشاء الأدبي) .

والإنشاء الأدبي فن ، والأمر يحتاج إلى براعة الكاتب ليبرز لنا القصص التاريخية والأحداث في ثوبها اللائق .

لكن المؤرخ الإنجليزي بيوري أستاذ التاريخ الحديث بجامعة كمبردج يذهب إلى "أن التاريخ علم لا أكثر ولا أقل" .

وقد نحا هذا النحو عدد كبير من المفكرين القدماء والمحدثين من أمثال هيراقليطس ، وأفلاطون ، وهيجل ، وماركس ، وأوجست كونت ، وشبنجلر ، وكارل ملنهايم ، وأرنولد توينبى – فاعتبروا التاريخ علم يهتم بتتبع تطور المجتمع في الفترات المتعاقبة .

وقد ذهب كونت إلى حد القول "إنني سأقدم برهاناً فعلياً على وجود قوانين محددة للأحداث المرتبطة بارتقاء وتطور العنصر الإنساني ، كما توجد قوانين لسقوط الحجارة ....." .

ولعل هذا الجدال ينتهي إذا وصلنا لتعريف سليم للفظي (علم) و (تاريخ) .

فلو عرفنا العلم بأنه " المعرفة المنظمة المبوبة المقننة " – وأن صفة العلم يمكن أن تطلق على " كل دراسة تهدف لتوخي الحقيقة ، والوصول إلى حكم قائم على النقد ، مع البعد عن كل هوى النفس ، وكل افتراض سابق ... على أن تقوم هذه الدراسة على الأمور الثلاث : التصنيف ، والتبويب ، والتقنين " .

أو إذا أخذنا بقول العالم هيكسيلي " إن العلم هو كل معرفة تقوم على الدليل والاستنباط " .

وإذا أخذنا – بهذه التعريف – فلا يوجد منطق لإسقاط التاريخ من عداد العلوم .

ويقول شارل سينوبس المؤرخ الفرنسي " التاريخ علم لا شك فى ذلك – فهو علم الوقائع التي تتصل بالأحياء من الناس في مجتمع خلال توالى الأزمنة في الماضي – وهو يدخل في عداد العلوم الوصفية " .

والتاريخ – كما يقول هرنشو – " يقوم على أصول تضارع قيمتها على أقل تقدير – ذرات الكيمياء النابضة ، والكترونات الفيزياء– أن التاريخ يبحث في الفعل ورد الفعل الصادرين عن إنسان غير متغير أصلاً ،وعن بيئة غير متغيرة أصلاً " فإذا أخذنا التاريخ بمعنى (البحث) أو الاستقصاء بهدف الوصول إلى الحقيقة التي من وراء الأحداث فبهذا المعنى يكون التاريخ علماً .

لكن من أي أنواع العلوم يعتبر التاريخ ؟

إنه ليس كالفلك – علم معاينة مباشرة ، ولا كالكيمياء علم تجربة واختبار – لكنه علم نقد وتحليل .

وهو كما يذكر – هرنشو – أقرب العلوم الطبيعية إلى (الجيولوجيا) فكما أن الجيولوجي يدرس الأرض كما هي الآن ليعرف – إذا أمكنه ذلك – كيف صارت إلى حالتها الحاضرة – فكذلك المؤرخ يدرس الآثار المختلفة عن الماضي ويحاول أن يفسر بواسطتها كيف وصل الإنسان إلى حاضره

وكما أن الجيولوجي يجد مادته الأساسية فيما حفظ من بقايا الطبيعة من أدلة قليلة تثبت التطورات الجيولوجية القديمة – فكذلك المؤرخ يعتمد في معرفة الوقائع الماضية على آثار مادية أو سجلات أو أي إنتاج بشرى.

أن الكثير من الأفعال الإنسانية سواء في ميدان السياسة أو الفلسفة أو الدين أو الفن لا تمثل إلا الجانب الخارجي من الإنسان_ أما الحياة الباطنية فإنها لا تظهر نفسها إلا بعد النفاذ وراء هذه الأفعال لاختبار طبيعتها .

فهناك أيضاً اندفاعات الحياة العاطفية اللاشعورية. وكما يقول_ غوستافلو لوبون _ ((أن العديد من المنازعات التي تزعج حياة الأمم وتسيطر على تاريخها _ مرجعها إلى الحياة الغريزية التي تولد الشهوات، وسيبقى الأمر، ولا ريب هكذا حتى اليوم الذي ستتخلص الإنسانية فيه من الحياة اللاشاعرة الوراثية فتبلغ من التطور الكافي ما يكون العقل فيه مسيطرا، ولم تبلغ هذه المرحلة بعد ولذلك يشتمل التاريخ على قليل من الحوادث التي أوحى بها العقل المحض)) .

ولعل من الأمثلة القوية لذلك الدوافع وراء الاستعمار الأوربي في العصر الحديث، فلا شك في أن الدوافع النفسية أو الغريزية من حب العظمة وحب التظاهر، والرغبة في التقليد والمحاكاة، وغير ذلك من العوامل_ كانت من العوامل التي دفعت الشعوب ثم الحكومات للعمل على بسط نفوذهم على مساحات واسعة من الأرض لم تكن خاضعة لها_ فالشعوب والدول تتكون من مجموعة أفراد تتحكم فيهم وتسيرهم الغرائز الطبيعية للإنسان .

على أن التاريخ وان كان في بداية عهده قد قصر اهتمامه على الشئون المتعلقة بالملوك، والطبقة العليا من المجتمع كالقواد والوزراء _ حتى أن البعض عرفه بأنه

مجموعة من السير المختارة المتعلقة بطبقة معينة من المجمع _ فانه كان لابد أن يطور ميدانه بعد أن رسخت أقدام الديمقراطية.

لذلك اتجه عدد غير قليل من المؤرخين إلى الاهتمام بحياة الشعوب فلم تصبح السياسة، وما تقوم به الحكومات هي مجال التاريخ وأصبح القول ((بأن التاريخ هو سياسة الماضي، والسياسة هي تاريخ الحاضر،_ لغو لا قيمة له.

لذلك نجد المؤرخ الانجليزي لورد (أكتن) في عام ١٨٩٥ ينتقد بشدة تركيز المؤرخين على الناحية السياسية وإهمالهم ما يتصل بالجماهير وأفكارهم فيقول ((أن اختصاصنا تناول ما هو أبعد مدى من شؤون الساسة، وهو غير خاضع لتشريع الحكومات. إن من واجبنا أن نحيط بحركات الأفكار التي هي علة الحوادث العامة لا نتيجتها، وأن نجعلها نصب أعيننا دائماً)).

وقد حاول فولتير القيام بكل هذا في كتابه (عصر لويس الرابع عشر) كذلك في كتابه (مقال عن العادات Essai sur Les moeurs).

ومع هذا فحتى نهاية القرن التاسع عشر ظل كثيرون لا ينظرون للتاريخ الحضاري نظرتهم للتاريخ السياسي، وذكر البعض أن هذا النوع من الكتابة والدراسة التاريخية يجب ألا تكون إلا مجرد إشارات عابرة أثناء دراسة التاريخ السياسي باعتباره الأصل.

كذلك ركزت مدرسة أخرى من علماء النفس الاجتماعيين بزعامة كارل لمبرخت المؤرخ الألماني (١٨٥٦ _ ١٩١٥) على ما أشرنا إليه سابقا من دوافع غريزية ونفسية وراء أحداث التاريخ.

والحقيقة التي انتهى إليها المعتدلون من المؤرخين اليوم هي أن عاملا واحدا لا يمكن أن ينفرد بتفسير الظواهر المتعددة وأحداث المجتمع التي لا شك في أنها محصلة العديد من العوامل.

على أننا نشير _ ونحن في مجال بحث وضع التاريخ بين العلوم الأخرى_ إلى أن محاولة بعض المؤرخين في القرن التاسع عشر الزج بالتاريخ في زمرة العلوم الطبيعية _ أدت إلى: الوقوع في أخطاء لا مبرر لها من حيث طريقة البحث التاريخي وتعميماته _ فلا شك في أن التاريخ:

من حيث طرائقه علم نقد لا علم ملاحظة وتجربة، وفي هذا يختلف عن العلوم الطبيعية.

أما من حيث تعميماته _ فإن التعميم في التاريخ قد يؤدي إلى نتائج خادعه بعيدة كل البعد عما يمكن أن نطلق عليه لفظ (قانون).

فالتعميم كمنهج تاريخي يؤدي إلى أحكام متناقضة تجعل الحقيقة أمراً يصعب تمييزه.

والقول بأن التاريخ لا يمكن الزج به في زمرة (العلوم الطبيعية) أثار تساؤلا آخر هو:

ما هي إذا فوائد التاريخ للفرد وللمجتمع؟ أو بمعنى آخر _ لماذا نهتم بتدريس التاريخ لأبنائنا؟ وما الذي نهدف إلية من وراء ذلك؟

وهل تحقق دراسة التاريخ هذه الأهداف المرجوة؟

ذهب البعض إلى القول ((بأن المعرفة التي لا ترتفع عن مستوى الوقائع والجزئيات، والتي لا يربط بين أجزائها قانون من القوانين _ لا تعتبر ((أداة صالحة للتعليم)). ويرى كيرد أن للتاريخ بعض الفوائد، فهو يعطينا تصورا صحيحاً للأشياء العارضة المؤقتة بالقياس للأشياء الأبدية الباقية في حياة الإنسان.

لقد كان التساؤل هو: إذا كانت الحوادث لا تتكرر، وكان من المستحيل الوصول إلى تعميمات تنتظم الظواهر التاريخية _ فما الفائدة التي يمكن أن تأتي من دراسة التاريخ؟ لا شك في أن دراسة التاريخ تحقق العديد من الفوائد يمكن أن نجملها فيما يلي:

فيرى البعض أن دراسة التاريخ تنشط الفكر وتشحذ الذهن، فالتاريخ أداة لرياضة العقل. بينما يرى آخرون أن دراسة التاريخ _ دون سواها أصلح الدراسات لتعويد الإنسان الفضائل الخاصة والعامة .. وقليل من الناس من يعارض اليوم في وجوب الاستفادة من دروس وعبر التاريخ لإلقاء دروس في الأخلاق، خارجة عن نطاق البحث التاريخي ذاته.

تتخذ بعض الدول من التاريخ الذي يدرس في المدارس وسيلة لنشر المبادئ التي تؤمن بها، سواء كانت تقديسا للملكية أو الجمهورية، أو المبادئ البلشفية أو الفاشستية أو غير ذلك.

فالتاريخ والسياسة علمان اجتماعيان نغميان، وكلا من السياسي والمؤرخ لا مندوحة له عن الاستنباط من وقائع غير متيقنة وأسباب ليست معروفة تماما.

فالمؤرخ عند شروعه في بحث حادثة معينة لا سبيل أمامه للوصول إلى الحقيقة المطلقة الثابتة، وكذلك الشأن في السياسة، فليس فيها شيء ثابت يقينى.

فالإنسان عندما يبلغ سن النضج تهدية تجاربه السابقة التي تعيها ذاكرته في سلوكه الحالي، والجنس البشري بالمثل، و التاريخ هو ذاكرة الجنس البشري ، ومحصلة تجاربه في الماضي.

لقد أصبح ينظر للتاريخ على أنه فرع من عائلة كبيرة هي الدراسات الاجتماعية، ولذلك فانه تربطه بأفراد هذه العائلة روابط وثيقة. ومن هنا كانت صلة التاريخ بعلم الاقتصاد والجغرافيا والانثروبولوجيا (علم الإنسان)، وعلم الآثار وغيرها .

المحاضرة الرابعة

تحدثنا في المحاضرات السابقة عن أهمية التاريخ ومكانته بين العلوم وأنه لم يعد ينظر إليه النظرة الضيقة التي أخذ بها بعض قدماء المؤرخين_ فاعتبروا مجاله دراسة شؤون الحكومات، والحروب والشؤون المتعلقة بالإدارة، والدبلوماسية فحسب _ بل أصبحت للتاريخ مجالات أخرى أوسع، ولعلها أهم من شؤون الحكم والإدارة والسياسة.

ونذكر هنا قول أحد العلماء، أن العلوم الإنسانية في عصرنا هذا إما أنها أهملت لحساب العلوم الطبيعية وللإغراءات التكنولوجية، أو طبقت طريقة هذه العلوم الطبيعية على العلوم الإنسانية في تعسف وضيق نظر _ ويتساءل: ماذا ينفع الإنسان لو فهم أسرار الطبيعة جميعها وسخر قواها كلها ولم يعرف مع ذلك نفسه؟

ماذا ينفع الإنسان لو ضيع عقله الجزئي والحسي والسطحي والعابر، ولم يتحرى ويسعى إلى الأشد حسنا، والأشد أصالة وعمقا والأشد شمولا وكيانا.

وقد أدركنا أن علم التاريخ فرع من فروع الدراسات الاجتماعية ، علاوة على ارتباطه الوثيق بالعلوم المساندة الأخرى التي يحرص المؤرخ على الإلمام بها لإكمال الصورة التاريخية قدر الإمكان.

وسنتحدث عن هذه العلوم وصلتها الوثيقة بدراسة التاريخ ومنها :

الجغرافية ،العلوم السياسية والنظم الدستورية، الاقتصاد، علم الإنسان، علم الآثار ، المسكوكات، الوثائق ، فقه اللغة. الأختام والأحبار والأقلام، علوم القران والتفسير والفلسفة....

فالظواهر الجغرافية كالسطح والمناخ والنبات وغيرها عظيمة الأثر في الأحداث التاريخية .

فإذا كانت الجغرافيا تعتني بالأرض وما يرتبط بها من الظواهر المختلفة ، فان التاريخ يهتم بالإنسان الذي يعيش على هذه الأرض ، وتؤثر فيه هذه الظواهر كما يؤثر هو فيها ، فهي مسرح الأحداث والإنسان هو الممثل على ذلك المسرح.

لقد قامت العديد من الحضارات حول مجاري اكبر الأنهار في العراق ومصر، حيث وفرت الأنهار البيئة الملائمة للسكن والعمل بالزراعة ومن ثم الاستقرار بعد تحدي الطبيعة واستجابتها .

وهناك بيئات طاردة للسكان ، مثل المناطق الحارة الصحراوية أو الباردة الثلجية ، وهذا من شأنه أن يؤثر في دفع السكان للرحيل وعدم الاستقرار فتمثل بيئة طاردة للسكان.

لعل مصر تمثل نموذجا حضاريا على الارتباط التاريخي الجغرافي عبر عصورها المختلفة ، فهي تقع على الركن الشمالي الغربي من القارة الإفريقية وتطل على البحر المتوسط شمالا والبحر الأحمر شرقا قبل حفر قناة السويس ، لذلك كانت على اتصال دائم مع حضارات الشرق القديم مثل الفينيقية والإغريقية والرومانية ، كما أن الصحراء الغربية في مصر مكنتها من التصدي مرارا للهجمات الاستعمارية..

لقد كان لموقع مصر الفريد وتحكمها في طرق التجارة بين الشرق والغرب عبر الأحمر والمتوسط أثره في ثراء وقوة دولة المماليك الحاكمة فيها ، وبعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح اثر ذلك الاكتشاف الجغرافي في ضعف وتزعزع قوة المماليك.

وتأثر تاريخ مصر الحديث بهذا الموقع الفريد بعد حفر قناة السويس التي غدت مطمعا للاستعمار الأوربي الانجليزي والفرنسي .

ونفس الشيء يمكن قوله على التطور التاريخي ل (عدن – جبل طارق- الجزائر-).

الجغرافيا:

تعتبر من العلوم الضرورية المساعدة لدراسة التاريخ ،والارتباط وثيق بين التاريخ و الجغرافيا فالأرض هي المسرح الذي حدثت عليه وقائع التاريخ. كما أننا نستفيد

كثيرا من التقسيمات الجغرافيا والخرائط السكانية والسياسية، أضف إلى ذلك ما وردنا من وصف الرحالة والجغرافيين في السابق حيث يعتبر مصدر من مصادر دراسة التاريخ.

الاقتصاد :

من اشد العلوم لزوما للمؤرخ علم الاقتصاد فقد فسر البعض - ومنهم ماركس - التاريخ تفسيرا اقتصاديا محضا.ورغم المبالغة في ذلك فلا شك أن العوامل الاقتصادية لعبت دورا بارزا في حياة الإنسان وتاريخه.

* ففي العصور القديمة كان العامل الاقتصادي من ابرز العوامل في حياة الإنسان الذي يسعى جاهدا لتوفير قوته اليومي .إذ تدرج من

الالتقاط – الرعي – الزراعة- الصناعة ... .

كثيرا من الهجرات الجماعية عبر التاريخ .لا يمكن تفسيرها إلا تفسيرا اقتصاديا مثل تحركات القبائل العربية عبر رمال الجزيرة الواسعة كانت في كثير من الأحيان بحثا عن ظروف اقتصادية أفضل.

* أصبح مقياس حضارة الإنسان بمدى تقدم استغلاله لما تقدمه له البيئة من إمكانيات ومدى تغلبه على العقبات التي تواجهه.

* من الأمور المؤثرة أيضا عوامل الإنتاج الزراعي والصناعي.

* الأنظمة الاقتصادية والطبقية وما ينتج عن اختلال المجتمعات.

(الرأسمالية - ..).

* الحروب والاستعمار الأوربي.

*البترول .

* التبادل التجاري بين الدول وأثره على العلاقات الاقتصادية.

علم الأنثروبولوجى :

فهما يلقيان الضوء على حياة الإنسان الأول وحضارته وعلى العلاقات والعادات والتقاليد السائدة في المجتمعات الإنسانية أو التي كانت سائدة ودلالتها على ما كان بين هذه المجتمعات وغيرها من المجتمعات الأخرى من علاقات وروابط تاريخية.

علم الآثار :

وهو يتعلق بكل ما خلفه الإنسان من إنتاج مادي ، وهذا الإنتاج يعتمد عليه المؤرخ للتعرف على نمط معيشة الإنسان و معتقداته. والآثار هي مصدرنا الوحيد للمعلومات التاريخية في فترات ما قبل الكتابة والتي تسمى عصور ما قبل التاريخ .

علم المسكوكات:

مثل النقود بما تحمله من كتابات وصور للملوك والحكام ، فتاريخ ضرب النقد بينت تاريخ حكم الملوك والأمراء والخلفاء، كما أن بعضها ضربت في مناسبات تاريخية معينة فكانت ذات دلالة عليها.

علم الوثائق:

وهي الكتابات الرسمية مثل الأوامر ، القرارات ،المعاهدات، الاتفاقيات، المراسلات السياسية و الكتابات التي تتناول مسائل القضاء أو التجارة. فينبغي على دارس التاريخ أن يتعلم الأسلوب و المصطلحات الخاصة بوثائق العصر الذي يعنيه.

والوثيقة هي المصدر الأصلي الذي يعتمد عليه الباحث التاريخي أو المادة الخام التي يصوغ منها نسيجه، فالاستفادة منها يستلزم الفرد القدرة على قراءة الوثيقة ، والتحقق من صحتها ، وذلك يتطلب معرفة اللغة التي كتبت بها الوثيقة والخط الذي كتبت به ، وطريقة الكتابة المتبعة في ذلك العصر والأسلوب المستخدم في الكتابة.

الأختام:

التي استخدمت في ختم الأوراق الرسمية (السجلات والدواوين)، ومنها قديما ما كان من الفخار أو الخشب وأحيانا من الحجر.

الخطوط:

إن دراسة الخطوط المختلفة المستخدمة في عصر من العصور وتطورها ومميزاتها تفيد في الحكم على سلامة الوثيقة من عدمه ، وهذا يهم الباحث التاريخي في المقام الأول.

اللغة:

يحتاج المؤرخ للإلمام باللغة التي كانت سائدة في العصر الذي يدرس تاريخه أو الدولة التي ارتبطت بهذا التاريخ ، فمثلا الباحث في التاريخ العثماني عليه أن يلم

باللغة التركية. وكذلك من يكتب عن تاريخ العراق القديم عليه أن يلم باللغة الفارسية.

وفقه اللغة من العلوم المساعدة الضرورية لدراسة فروع كثيرة من التاريخ ،وكلما بعد العصر الذي هو موضوع الدراسة ازدادت أهمية الفيلولوجيا.

وقد استفاد علم التاريخ من الكثير من العلوم الأخرى مثل علم الكيميا ودور الكربون ١٤ في تحديد الزمن للمواد العضوية، وعلم الجيولوجيا ومعرفة دور التغيرات الجيولوجية والتحركات التكتونية لطبقات الأرض في التوزيع السكاني والهجرات. هذا بجانب العلوم الشرعية مثل علم الحديث وغيره.

المحاضرة الخامسة

البحث التاريخي ليس بالأمر السهل اليسير ، فهو يتطلب أن تتوفر في المؤرخ شروط قد لا يستلزم توفرها في غيره ممن يتعرضون لألوان أخرى من الكتابات الأدبية مثلا أو البحوث في مجالات أخرى .

فمن الصفات الأساسية التي يجب أن تتوفر في المؤرخ – أو ما أطلق عليه المؤرخ الألماني تيودور مومس " بالسلوك الخاص بالباحث في مجال التاريخ ".

الصبر

فالباحث في ميدان التاريخ يحتاج للسعي وراء المعرفة مهما تكبد من جهد ووقت ، فهو يواصل البحث في دور الوثائق ، ويطلع على العشرات منها وقد لا يجد فيها ما يضيف جديداً أو يخدم بحثه ، ومع ذلك فيجب ألا ينتابه اليأس بل يتابع البحث طالما هو يسير في الطريق السليم ، ونفس الشيء قد يحدث فيما يتعلق بالعديد من المراجع التي يلزمه أن يرجع إليها لتناولها العصر الذي يبحث فيه أو صلتها بالموضوع الذي يكتب عنه ، وقد يطوى عشرات الصفحات فلا يكاد يجد جديداً يخدم موضوعه .

والبحث في الوثائق الأصلية بأوضاعها الحالية ولغتها ، وطريقة كتابتها الخ ... يحتاج إلى صبر وأناة في محاولة لحل غموضها أو معرفة مدلولها أو ظروف صدورها ..

ومن يستعجل الوصول إلى المعلومات التي تخدم بحثه يخطئ في الحقيقة لأن هذا سيكون بلا شك على حساب الدقة المطلوبة .

يضاف إلى هذا أن الوثائق نفسها ليست غالباً تحت أيدي الباحثين فهي مبعثرة هنا وهناك في دور المحفوظات ، والباحث عليه أن يسعى إليها حيث هي ، وألا يهمل منها شيئاً مهما كان بعيد المنال ومهما تطلب الوصول إليه من جهد ومال ووقت – فالمطلوب من الباحث أن يلم بكل ما هو متعلق ببحثه من وثائق أو كتابات غير منشورة أو منشورة .

وتشير أنجلو وسينوبوس إلى ذلك بقولها :" أن الفضيلة الأساسية في المؤرخ هي الصبر .. لا تشتغل بسرعة ،وأعمل وكان في الإبطاء فائدة دائماً .. هذه نصائح سهل قولها ، أما إتباعها فيحتاج إلى مزاج رصين – فالناس العصبيون الشديدون الانفعال المتعجلون دائماً – للانتهاء – يمكنهم أن يعملوا عملاً حسناً في مهن أخرى غير البحث التاريخي " .

" إن الباحث في مجال التاريخ يجب أن يطرد من ذهنه أن البراعة يمكن أن تعوض عن المعرفة وأن العمل الرديء السهل بشيء من البراعة يمكن أن يحل محل العمل الجيد ".

ويذكر المؤرخ الألماني فون رانكه أنه يجب أن يكون شعار المؤرخ " اعمل – ولا تتكلم " فوظيفة المؤرخ –في رأى هذا العالم هي بذل كل جهد سعياً وراء الحقيقة ، ليس التذرع بالزخارف الخطابية ، فالمؤرخ عليه أن يدرك أنه مطالب بأن يستخرج الحقيقة من وسط الأحداث الغامضة" ويقول " يجب ألا ينفر المؤرخ من غموض العالم المتغير ، بل عليه أن يتعلم كيف يرتاد الظلام ، وأن يرى الواقع من خلال الأحداث الغامضة ".

الدقة والأمانة:

كذلك يجب أن يتصف المؤرخ بالدقة الكاملة ، والأمانة في عرض وجهات النظر المختلفة ، وكما سنرى فيما بعد انه مطالب بأن ينسب كل رأى لصاحبه ولمصدره دون التواء أو محاولة إخفاء شيء من الحقيقة .

وإذا اهتزت ثقتنا في الباحث في التاريخ مرة واحدة اهتزت الأرض من تحت أقدامه ، وأصبح معرضاً للشك في كل ما يقوله وما يورده من أفكار وآراء .

الحياد والنزاهة:

وهناك مشكلة تثار دائماً .. هل يقدم المؤرخ الناحية القومية ، وما تطلبه منه من آراء معينة على الحقيقة إذا حدث تعارض بين الاثنين أم العكس

والواقع إننا نتطلب من المؤرخ الحيدة الكاملة والنزاهة التامة ، فهو يورد الحقائق مستندة إلى مصادرها الأصلية وحين يتعرض للتحليل أو التعليل يجب أن يلتزم بالمنطق والأسلوب العلمي الذي يبني النتائج على علل وأسباب سليمة بحيث لا تتعارض النتائج مع المقدمات .

عدم استخدام التعميمات المسبقة:

والمؤرخ يجب ألا يكون له رأياً مسبقاً في الأحداث ثم يحاول بعد ذلك أن يجمع الأدلة والبراهين على صحة هذا الرأي ، فلا شك في أن هذا الاتجاه سيؤدى إلى الانزلاق والخطأ ، بعكس لو جمع المعلومات عن الحادث الذي يتعرض له من مصادر الأصلية ،واستعرض مختلف الآراء التي كتبت عن هذا الحادث محاولاً تحليلها والوصول في ضوء كل ذلك إلى الرأي المرجح الذي يرتاح هو إليه ، ويعتقد انه – في ضوء كل المعلومات المتاحة له – هو الرأي السليم .

ويعبر المؤرخ الألماني فون رانكى عن ذلك بقوله " إن عدم محاولة المؤرخ السعي وراء الحقيقة المجردة خطيئة فادحة ، انه ضعف في إرادة المعرفة " – وأشار إلى وجوب الفصل بين الأمر الشخصي والواقعي ، ووجوب الالتزام بالموضوعية التاريخية .كما عبر عن ذلك أيضاً الفيلسوف الألماني جوتيه بقوله : " إن المؤرخ يجب أن يتصف أولاً وأخيراً بحب الحقيقة " .

الالتزام بالحقيقة المجردة:

لكن مهما يكن الأمر فاتنا في الوقت الذي نطلب فيه من المؤرخ الصدق الكامل في إبداء الرأي والالتزام بالحقيقة المجردة – لا نستطيع أن نجرده من العوامل القومية .. أو المصالح الوطنية التي قد تؤثر عن قصد أو غير قصد – في كتاباته وآرائه التي ينتهي إليها .

نضرب مثلا بكتابات وآراء بعض الكتاب عن دور بلادهم في أفريقيا وغيرها من المناطق التي كانت ميداناً لاستعمارهم – فمثلا سيسل جون رودس المستعمر البريطاني – الذي أضاف بجهوده ووسائله للإمبراطورية البريطانية أجزاء هامة في جنوب أفريقيا ووسطها – نجده يبرر هذا العمل – كما برره غيره من دعاة الاستعمار- بأن الجنس الأنجلو سكسوني عليه رسالة وواجب تجاه هذه الشعوب لنشر الحضارة فيها وبالغ هؤلاء في دور دولهم الحضاري وتجاهلوا الحضارات التي كانت للشعوب الأفريقية قبل مجيء الاستعمار .

وصوروا عمليات الاستغلال الهدام التي قامت بها الدول الاستعمارية لاستغلال الثروات الأفريقية دون محاولة للنهوض بالأفارقة أنفسهم – أصحاب البلاد الأصليين – على أنها عمليات اقتصادية حضارية بناءة ، وصوروا ما قامت به الشركات والحكومات الاستعمارية من مد خطوط السكك الحديدية مثلا من مناطق الإنتاج الصناعي إلى الموانئ ومناطق التصدير دون مراعاة للكثافة السكانية ولمصالح السكان على أنها أعمال عمرانية لا مثيل لها ، ولم يشيروا لما أصاب الأفارقة وثقافاتهم ومدنيتهم وثروات بلادهم من أضرار وتناسوا عامل الزمن وغيره فأبرزوا النتائج العمرانية وما تم في مجال الثقافة والطب والعلاج .. كأنها أعمال بطولية متناسين السنوات الطويلة التي انقضت وما كان يجب أن يتحقق فيها من تقدم حقيقي وتعمير .

ولذا فالباحث مطالب دائماً باليقظة حين يرجع لكتابات هؤلاء الكتاب ، ويجب أن يكون ملماً بحقيقة الكتاب ، الذي يرجع له ، وثقافته وميوله واتجاهاته الخ ...

النقد والتحليل:

والاعتماد على الوثائق الأصلية ومحاولة تحليلها يجنب الباحث من الوقوع في كثير من الأخطاء ، ولذا يجب أن تكون لدى الباحث ملكة النقد والتحليل ، أو ما يمكن أن نعبر عنه (بفن نقد وتحليل المصادر) أو كما قال الفيلسوف الفرنسي تين "القدرة على التفسير " .

ويعبر البعض عن هذا "بأنه مطالب بأن يقرأ ما بين السطور ، والمقصود من ذلك هو أن الباحث لا يجب أن يقرأ الوثيقة أو المادة العلمية قراءة سريعة عابرة كمن يقرأ صحيفة يومية لمجرد معرفة الأخبار العامة فلا تكاد تستوقفه سوى بعض العناوين البارزة في الصحيفة اليومية – لكن كل لفظ أو عبارة يقرأها تستوقفه للتساؤل والبحث عن مدلولها ، والمقصود منها سواء ذكر صراحة أو لم يذكر والدوافع من ورائها .. هذا على أن يضع في الاعتبار أن للدبلوماسيين ورجال السياسة والكتابات الرسمية من العبارات ما قد لا يكون مدلولها الحقيقي واضحاً في ذهن القارئ العادي".

ظهور شخصية الباحث:

ويذهب المؤرخ هردر إلى أن المؤرخ هو الذي يرى في التاريخ ليس مجرد المجرى الخارجي للأحداث ،بل يسعى بدلاً من ذلك لرؤية روحه ، وهو وحده الذي يستطيع أن يكتشف الروح الكامنة وراء أحجبتها وأقنعتها.

" أن المؤرخ – كما يقول – بخلاف المنطق فمهمته لا تقتصر على المظاهر فحسب . بل أنه يعلو عليها " .

الاستدلال:

كذلك يجب أن تكون لدى المؤرخ ملكة الربط بين الأحداث المتعددة ، وقد عبر عن ذلك الفيلسوف الألماني فون همبولت بقوله " أن مهمة المؤرخ في الواقع تحتاج إلى إدراك للواقع بالإضافة إلى الخيال الخلاق الذي يستطيع وحده ربط الوقائع المنعزلة والمنتشرة في نطاق واسع بعضها ببعض في وحدة حقيقية " .

قبول الرأي الأخر:

هذا ويجب أن يكون الباحث في نفس الوقت مستعداً لتقبل إرادة الغير ووجهة نظرهم دون أن يضيق بها ،بل يكون مستعداً للأخذ بوجهة النظر المغايرة لما كان يعتقده هو – إذا وجد من القرائن ما يؤيد وجهة النظر المعارضة لرأيه وما يرجح صحتها .

المعرفة الزمنية للأحداث:

وهنا ملكة هامة يجب أن تتوفر لدى المؤرخ وهي ترتبط (بالعامل الزمني) أو الحاسة الزمنية فهو يتعرض لأحداث حدثت في أزمنة سابقة مغايرة لزمنه من حيث الظروف الاجتماعية ، والأفكار السياسية السائدة في المجتمع والمعتقدات والمبادئ المتعارف عليها في هذه الأزمنة الخ ...

وهو لا يجب أن يقيس الأحداث ويربطها بأفكار وعلل ومقاييس استحدثت بعد . أو بمعنى أصح أن المؤرخ يجب أن يحذر تفسير الأحداث الماضية وتعليلها بالأسباب والعلل التي لم تكن موجودة في زمنها لكنها قد تكون بارزة وواضحة اليوم – فهو لا يحب أن يجرى في عقول الناس في الماضي ما يجرى في عقولنا اليوم دون مراعاة لفارق الزمن .

مثال ذلك ما يردده العديد من الكتاب من أن من الدوافع التي دفعت محمد علي للتفكير في مد إرادته للسودان وإرسال حملاته لبسط سلطانه على هذه البلاد – رغبته في السيطرة على منابع النيل الاستوائية ليكون النهر من منابعه حتى مصباته تحت سيطرته .

وقد تكون فكرة التحكم في هذه المنابع وإقامة المشاريع عليها قد بحثت فيما بعد – لكن لا يقبل هذا الأمر في عهد محمد علي لسبب بسيط هو أن منابع النيل الاستوائية لم تكن قد كشفت بعد ولم يتم كشفها إلا في عصر الخديوي إسماعيل.

وإن كان الرحالة وادنجتون مثلاً قد أشار إلى طموح محمد علي وأطماعه في أن يكون سيداً على سكان وادي النيل ومن يشربون من مائه من الحبشة حتى البحر المتوسط .

ألا أن مسألة التحكم في مشروعات الري على النيل التي رددتها المراجع المتعددة لم تخطر أبداً على عقل محمد علي أو عقول معاصريه . ومثال ذلك أيضاً ما تردده الكتب عن " المثل العليا للفضيلة والحرية التى تنسب للرومان " فالحقيقة أنه كما ذكر فستل دى كولانج في كتابه " المدنية القديمة " الذي درس فيه العبادات والقوانين والنظم عند اليونان والرومان " إن القدماء لم يعرفوا الحرية في حياتهم الخاصة ، كما أنهم لم يعرفوا الحرية في التعليم أو الخدمة الدينية ، وكانت شخصية الفرد ذات قيمة ضئيلة إذا قورنت بالسلطة الصارمة التي تكاد تكون مقدسة والتي تمتعت بما نسميه (بالدولة) أو الوطن .. وكان المعتقد هو أن الواجب يقضى بأنه على كل من الأخلاق والعدالة ، والحقوق أن تفسح الطريق لصالح الوطن

من هذا يتضح أن من أغرب الأخطاء الظن بأن الإنسان قد تمتع بحرية في المجتمعات القديمة – كما نفهمها نحن اليوم – فهو لم يحصل حتى على فكرتها .

إذا على المؤرخ أن يحاول بعقله وفكره أن يعيش العصر الذي يتصدى للكتابة عنه ، ويحاول أن يعايش الناس في هذا العصر أفكارهم وتقاليدهم وعاداتهم ، وهذا أمر ليس باليسير فهو يتطلب دراسة عميقة للأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها للعصر موضوع الاهتمام .

التأمل الهادئ:

لكن مع ذلك فكما يذكر رانكى يجب أن يرى الأشياء من وجهة نظر أعلى من تلك التي يراها بها أولئك الذين عاشوا وسط الأحداث فالمؤرخ – كما يقول – يسعى إلى تحويل التاريخ العاصف كله إلى هدوء التأمل الخالص – فصفة التأمل الهادئ هي من أهم صفات المؤرخ .

الموضوعية التامة:

كذلك رغم الموضوعية التامة اللازم توفرها في المؤرخ – فإن هذا لا يعنى بحال ما محو ذاتيته ، فالشخصية التاريخية لا يمكن أن تفهم إلا عن طريق الشخصية الذاتية ، ويستحيل هذا بغير تعاطف وثيق .

أن الباحث الناجح هو الذي يتصف بالاتزان فلا تطغى كفة العاطفة عنده على كفة الموضوعية والحيدة ، ولا تلغى تلك شخصية الباحث وآدميته بما فيها من عواطف وأحاسيس ومشاعر .

التواضع:

ومن مميزات الباحث في التاريخ التواضع ،فلا يحرص أبداً على أن يفضح علنا أقل هفوات تصدر من الغير ،وهو لا يستخدم ألفاظاً ولهجة فظة غليظة ، في الوقت الذي يمجد فيه القليل الذي يقوم به هو – وقد ذكر أنجلو وسينوبس " أن العالم دى كانج كان يقول عن أعماله بكل تواضع – تكفى العيون والأصابع لعمل مثلها وأكثر .. وأنني إذا كنت أدرس وأبحث فما ذلك لإيلام الآخرين " .

المنهجية في التنظيم والتصنيف:

والمؤرخ كغيره من المتصدين للبحث العلمي يجب أن يتصف بالقدرة على تنظيم المعلومات وتصنيفها والاستفادة منها في موضعها المناسب . وقد يكتسب هذا بالمران والتدريب لكن يحتاج الأمر أيضاً إلى عقل راجح وذكاء وقدرة على إدراك التسلسل بين الأحداث ، وعلى المقارنة بينها والربط بحيث تكون سلسلة متصلة تؤدي الحادثة إلى أخرى .

ويعاب على كثير من الكتابات التاريخية أنها تفتقر لهذا التسلسل الزمني فيشوبها الاضطراب بحيث لا يستطيع القارئ أن يتتبع تسلسل وتتابع الأحداث تاريخياً ، وأن يدرك مدى ارتباطها بعضها بالبعض الآخر .

سهولة الألفاظ :

كذلك فإن المؤرخ يجب أن يتميز في كتابته وطريقة عرضه للأفكار بأسلوب علمي سهل ، وبعبارات واضحة – فيجمع بين سلامة اللغة ، وسلاسة الأسلوب ، ووضوح الفكرة – وسنتعرض لهذه النقطة بالتفصيل فيما بعد عند الحديث عن كتابة البحث وما يراعى في ذلك .

كانت هذه بعض الصفات التى يجب أن يتحلى بها الباحث على سبيل المثال وليس الحصر.

المحاضرة السادسة

اختيار موضوع البحث:

يمر البحث التاريخي في عدة مراحل أولها اختيار الموضوع.

ويعتبر اختيار موضوع البحث من أهم الأمور وأصعبها ، والتوفيق في هذه المرحلة يعتبر المفتاح الأول الذي يفتح الطريق ويمهده أمام الباحث .

ويجب أن يدرك الباحث أن اختيار الموضوع - الذي سيقضى فترة طويلة في محاولة تقصى حقائقه – مهمته هو في المقام الأول ، وأن مهمة المشرف في هذه المرحلة لا تتعدى الإرشاد بالرأي بحكم خبرته وسعة علمه ، لكن لا يجب أن يعتمد الباحث كلية على المشرف في هذا الأمر.

ويختلف الأمر في حالة الطلاب المبتدئين في الكليات الجامعية عنه في حالة الباحث في الدراسات العليا ، والذي يهدف للحصول على درجة (الماجستير) أو (الدكتوراه) في مادة تخصصه .

فالهدف من البحث عند الطالب في المرحلة الجامعية الأولى هو التدريب على الطريقة الصحيحة للبحث التاريخي ، وعلى المنهج السليم في البحث ، فهو غير مطالب بأن يضيف جديداً لمعلوماتنا المتصلة بموضوع البحث – لكنه مطالب بأن يقدم بحثاً يراعي فيه شروط البحث التاريخي بما يطمئن على أنه ألم بهذه الشروط وأنه قادر في المستقبل على أن يسير في الاتجاه السليم للبحث .

كما أن هذه المرحلة فرصة لتعرف الباحث على المكتبات العلمية الموجودة على الأقل في دائرة الكلية أو الجامعة التي يدرس فيها ، وعلى بعض دور الكتب في بلده ، وعلى الطريقة المثلى للاستفادة من هذه المكتبات وما بها من كتب ومراجع .

ويرجع الطالب عادة في هذه المرحلة بإرشاد أستاذه إلى عدد محدود من الكتب التي تتناول موضوع بحثه .

ومن أهداف هذه المرحلة أيضاً أن يتدرب الطالب على الطريقة المثلى في كتابة موضوع ما ، من حيث التبويب أو التقسيم ، ومن حيث الإلمام بجوانب الموضوع المختلفة .

وقد يحاول الطالب أيضاً في هذه المرحلة أن يعرض رأيين أو أكثر من الآراء التي أثيرت في كتاب أو كتابين مما قرأ ويحاول أن يقارن بينهما ، وإن أمكن أن يرجح رأياً على الآخر .

وإن كان الوصول إلى هذه المرحلة غالباً لا يكون إلا بعد فترة من الدراسة الجامعية الأولى حين يكون الطالب قد قطع مرحلة طيبة في هذه الدراسة

فالطالب قد يبدأ بمجرد محاولة لتلخيص فصل من كتاب ، ويتدرج إلى محاولة أن يكتب بنفسه موضوعاً عاماً مستنداً إلى كتابين أو ثلاثة ، وهكذا حتى يصل إلى أن تكون عنده ملكة النقد والتحليل والتمييز بين الصحيح وغير الصحيح فيما يقرأه مستنداً على أسس سليمة للنقد .

وبالطبع يحتاج الطالب قبل أن يبدأ في بحثه لتوجيهات – عن البحث العلمي ، والهدف منه ومنهجه. وعادة يدرس الطالب هذه المواضيع في دروس (منهج البحث التاريخي) ، وإن كانت بعض الكليات لا تخصص ساعات محددة لهذه الدراسة في هذه المرحلة وتكتفي بتوجيهات وإرشادات الأساتذة ، ثم يكلف الطلبة بأبحاث بسيطة قد تناقش وتتخذ أساساً لتوضيح نقاط الضعف ، ومواضع القوة في البحث العلمي .

أهداف البحث التاريخي في المرحلة الجامعية الأولى:

١- تدريب الدارسين على كيفية الإلمام بالعناصر الرئيسية لموضوع تاريخي .

٢- تدريبهم على كيفية التركيز على الهام من المعلومات بحيث يستطيع الدارس أن يعطى تصوراً كاملاً لموضوع ما في صفحات قليلة .

٣- استخدام المكتبة ومعرفة – كيفية التعامل معها ، ومع القائمين بأمرها ، فيعرف الطالب أنواع الفهارس بالمكتبة ، وطريقة تقسيمها ، ونظام الاستعارة الداخلية والخارجية بها ، كما يقضى أوقات للقراءة فيها ، وهو يكتسب في كل ذلك خبرة ومعرفة .

٤- تكوين عادة القراءة الجادة عند الدارسين بحيث لا يكتفي الطالب بما يأخذ من محاضرات، بل يتعدد على أن يحاول الحصول على المزيد من المعلومات من الكتب والمراجع الأخرى ،ويجد في ذلك إشباعاً لرغبته عند القراءة والاطلاع والحصول على المعرفة بنفسه .

٥- معرفة المنهج السليم للبحث التاريخي ، وطريقة تقسيم البحث ، والكتابة السليمة والعرض .

٦- الطريقة الصحيحة لكتابة (هوامش) البحث والاستعمالات المختلفة للهوامش .

٧- ملاحق البحث من خرائط ووثائق وموضعها من البحث وقيمتها .

٨- طريقة تنظيم مكتبة البحث (المراجع والمصادر) في نهاية البحث .

والحقيقة التي يجب أن نشير إليها هنا هي أن أحجام الغالبية العظمى من الدارسين بجامعاتنا عن متابعة القراءة والدرس بعد الانتهاء من المرحلة الجامعية الأولى – يرجع أولاً وقبل كل شيء إلى عدم التدريب على القراءة ، وعدم ممارسة هذه العادة أثناء الدراسة الجامعية والاكتفاء بجهد الأستاذ ممثلاً في المحاضرات التي تملى أو تطبع .

وهذا السبب فيما نشكو منه من أن الدراسة الجامعية أصبحت لا تختلف كثيراً عن المرحلة السابقة لها من مراحل التعليم العام . فالأمر لا يخرج عن كون الطالب قد حصل على قدر أكبر من المعلومات في نطاق تخصصه ، بينما الهدف الأساسي من التعليم الجامعي وهو تكوين طالب قادر على الحصول بنفسه على المزيد من المعلومات والمعارف عن أي موضوع – يجذب نظره – لم يتحقق بعد .

ومهما قيل عن أسباب هذا القصور من كثرة عدد الطلاب أو غير ذلك – فإن الهدف يجب ألا يغيب عن أنظارنا ، ويمكن تحقيقه بوسائل متعددة بتوجيه الطلاب بمختلف الطرق والوسائل للبحث والتنقيب وراء المعرفة ، والاهتمام بالمكتبات الجامعية ، وإرشاد طلابنا لطريقة الاستفادة منها .

اختيار الموضوع في الدراسات العليا:

وإذا كان الطالب في هذه المرحلة الجامعية الأولى ليس مطالباً – كما ذكرنا – بإلقاء أضواء جديدة على موضوع ما ، وأن هذه المرحلة تعتبر مرحلة تدريب وتعويد على البحث والقراءة والكتابة السليمة فحسب – فإن المرحلة الجامعية التالية . والتي يطلق عليها في بعض الجامعات مرحلة (الدراسات العليا)تتطلب تعمقاً أكثر وإضافة جديدة في موضوع البحث .

ولذ فاختيار موضوع البحث في هذه المرحلة .والمراحل التي يمر بها يختلف تماماً من المرحلة السابقة .

وفي أغلب جامعاتنا يمر الطالب – قبل أن يسمح له باختيار موضوع بحثه والتفرغ له .. بمرحلة مدتها في العادة عام دراسي كامل يطلق عليها (السنة التمهيدية) فيها يدرس بعض الموضوعات في مجال تخصصه بالإضافة إلى أنه يكلف بإعداد بحوث خاصة في هذا المجال .

وقد تختلف الدراسة والنشاط المصاحب لها في هذه السنة حسب التخصص الدقيق للطالب . فالطالب الذي اتجه للتخصص في التاريخ الفرعوني القديم يدرس موضوعات تختلف عن الطالب الذي يتجه لدراسة التاريخ اليوناني أو الروماني وبالمثل الذي يتجه لدراسة التاريخ الوسيط أو الإسلامي أومن يريد التخصص في التاريخ الحديث .

وبالطبع هناك شروط تشترط الكليات الجامعية توفرها في الطالب – بالإضافة إلى رغبته الشخصية – لتحديد التخصص الذي يسمح له بالبحث فيه كالاسترشاد مثلا بتقديراته في فرع التخصص الراغب فيه طوال سنين دراسته الجامعية الأولى .

وإن كان الأمر يختلف في الجامعات الأوربية حيث أن رأي الأستاذ المشرف هو الحكم – غالباً – في ذلك فهو القادر على الحكم على مدى قدرة الطالب على متابعة الدراسة والبحث في المجال الذي اختاره .

ولعل جامعاتنا لجأت إلى هذه الأجزاء بتخصيص عام للدراسة التمهيدية لمرحلة الماجستير ثم الدكتوراه بعد أن ثبت أن ما يكتسبه الطالب خلال فترة الدراسة الجامعية الأولى من تدريب على البحث غير كاف ، كما أنه يمكن في هذا العام التمهيدي التعمق في دراسات تخصصية يحتاجها الباحث في المجال الذي اختاره لتخصصه كدراسته لغة جديدة أو التعمق في لغة بذاتها كاللاتينية واليونانية للباحث في تاريخ اليونان القديم أو تاريخ الرومان ، واللغة المصرية القديمة لمن سيتخصص في التاريخ الفرعوني واللغة التركية العثمانية للباحثين في تاريخ مصر الحديث .

هذا بالإضافة إلى أن بعض الكليات تعتبر هذا العام التمهيدي فرصة للحكم على مدى قدرة الطالب على الاستمرار في البحث والدراسة للمرحلة القادمة . وذلك بعد أن زاد عدد المتقدمين للدراسات العليا عن إمكانيات الأساتذة على الإشراف والتوجيه السليم – فهي مرحلة من مراحل التصفية ، ووسيلة من وسائل الاختيار أو التوجيه الصحيح . وقد يوجه الطالب في هذه المرحلة في أبحاثه إلى اختيار

موضوع معين يتعمق في القراءة فيه ويقدم بحثاً أو أبحاثاً كتمهيد لأن يسجل الطالب هذا الموضوع ويستمر فيه كموضوع مختار لبحثه المقبل .

وعادة تعقد في أثناء هذه السنة التمهيدية حلقات للبحث(سيمينار) يحضرها الأساتذة وطلاب الدراسات العليا - وهذه الحلقات عظيمة الفائدة لطلبة الدراسات العليا ، مما يقدمه الدارسون من أبحاث وأوجه نشاط أخرى وما يدور فيها من مناقشات وتبادل أراء ونقد بناء يفيد الباحثين الجادين فائدة كبيرة ، ويسهم في تقدمهم وتثبيت أقدامهم في مجال البحث وما يتطلبه من شروط ، ويكتسبون _ في هذه الحلقات الكثير من خبرات العديد من الأساتذة المحنكين الذين يشتركون في هذه الحلقات الدراسية .

وبالطبع يتوقف مدى الاستفادة من هذه الحلقات على الدقة في الإعداد لها ، والحرص على أن تؤخذ مأخذ الجد ، وعلى أن تحقق الأهداف المرجوة منها.

ويخضع اختيار موضوع البحث في مرحلة الماجستير أو الدكتوراه لعوامل كثيرة.

والباحث على كل حال يجب قبل أن يستقر على رأى نهائي بخصوص موضوع بحثه أن يسأل نفسه الأسئلة التالية ويجيب عليها بصدق وأمانة.

١_ لماذا اختار بالذات هذا الموضوع للبحث؟

٢_ هل لم يسبق بحثه؟

٣_ هل الآراء المتعددة والكتابات التي كتبت عنه غير كافية أو غير صحيحة؟

٤_ هل لديه من المصادر الأصلية كالوثائق أو الكتابات الرسمية الأخرى ما يكشف عن حقائق جديدة أو يصحح آراء متداولة؟

٥_ هل لديه هو كافة الإمكانيات للاطلاع على ما يتصل بموضوع بحثه من مصادر أصلية؟

كان يكون ملما مثلا بلغة هذه المصادر ، وأن يكون متيسرا له للحصول عليها من أماكنها الأصلية . فإذا شعر في ضوء إجاباته على هذه التساؤلات كلها بالاطمئنان إلى أنه يستطيع أن يضيف فعلا جديدا للمعلومات المعروفة عن موضوع البحث - يمكنه أن يستمر في بحثه – وإلا كان عليه أن يغير أو يعدل من موضوع .

مدة البحث الزمنية:

ومن المبادئ الأساسية التي يجب أن تراعى عند اختيار موضوع البحث أن يكون الموضوع محددا بفترة زمنية معقولة _ وكلما كانت الفترة محدودة أمكن للباحث أن يتعمق في بحثه وأن يلم بكافة المعلومات والكتابات والمصادر المتعلقة بها ، وبالعكس إذا كانت الفترة طويلة أصبح من العسير على الباحث أن يلم بكل ما كتب عن الموضوع فلا يتعدى الأمر جمع معلومات عامة عادية معروفة .

هذا على أن تحديد تاريخ البداية ، والنهاية أي (الفترة الزمنية للبحث) لا تتم اعتباطا ،فعلى الباحث أن يكون مستعداً للإجابة عن سبب التزامه بالفترة الزمنية التي حددها لبحثه .

فموضوع البحث مفروض فيه أن يمثل موضوعاً متكاملاً . حقيقة قد يفتح البحث آفاقاً لبحث آخر ، وكثيرون كانوا موفقين في اختيار موضوع بحثهم لدرجة الماجستير ، ثم تابعوا البحث لفترة زمنية أخرى للدكتوراه .

لكن لا يعنى هذا أن الفترة الزمنية الأولى لم تكن متكاملة ، وأن النهاية لم تكن طبيعية .

وبالطبع يحسن بالباحث منذ البداية أن يلم بموضوع البحث وأن يقرأ كل ما كتب عن هذا الموضوع . ولا يتسرع في اختيار موضوعه وتحديد الفترة الزمنية حتى لا يضطر أثناء البحث أن يغير الموضوع أو الفترة بالحذف أو الإضافة ، وإن كان هذا جائزاً طالما وجد بالاتفاق مع الأستاذ المشرف إن الفائدة العلمية تقتضى ذلك .

وإذا كان الطالب – في مقدمة بحثه يوضح الأسباب التي دعته لاختيار موضوع البحث ، والتي دعته لتحديد الفترة الزمنية للبحث – فإنه عادة يناقش ذلك مع أستاذه المشرف على بحثه فإذا اقتنعا بأن الموضوع جدير بالبحث يستمر الباحث –مطمئناً - في جمع المادة التاريخية للموضوع الذي وقع عليه الاختيار من المراجع العامة والخاصة ومن المصادر الأصلية .

ويطلب من الطالب أن يتقدم لمجلس القسم ببيان يوضح فيه :

١- موضوع البحث .

٢- الأسباب التي دفعت لاختيار الموضوع المذكور والمبررات العلمية لذلك . وهي كما شرحنا سابقاً قد تتعلق بأهمية الموضوع ذاته ، ورغم ذلك قلة ما كتب فيه ، أو عدم تحرى الكتاب الدقة فيما كتبوا ، أو عثور الباحث على وثائق أو مصادر أخرى أصلية لم تستخدم من قبل لأجلاء الحقيقة عن موضوعات تتعلق بالباحث.

٣- مشروعات تمهيديا للبحث (التبويب) يحدد الفصول الأساسية ، وما سيتناوله كل بالبحث.

وهذا التبويب بالطبع قابل للتعديل والتغير حسبما يتضح للباحث أثناء بحثه ، لكنه يحدد المعالم الرئيسية لخطة البحث .

٤- بعض المصادر والمراجع التي سيعتمد عليها الباحث في بحثه .

ولا شك أيضاً في أن الباحث لا يمكنه في هذه المرحلة أن يلم بكل المصادر أو المراجع التي يحتاج إليها –فهذا يستلزم وقتاً طويلاً ولن يتم إلا أثناء مرحلة البحث الطويلة ، وأثناء جمع المادة حين يصطدم الباحث بالنقاط الغامضة التي تحتاج لتأكيد أو نفى في بحثه – فيرجع للمصادر أو المراجع ليجلو الغموض الذي يحيط بنقطة ما ، كما أن المرجع عادة يؤدى بالباحث للعديد من المراجع الأخرى ، وفي طريق البحث الطويل وفي دروبه المتعددة يضع الباحث يده على العديد من المصادر والمراجع التي لم تكن تحت يده أو في ذهنه في المراحل الأولى من البحث .

والقيمة الحقيقية لكل هذه البيانات الأولية هي أن تطمئن الجهات الرسمية (مجلس القسم ، ومجلس الكلية ، ثم الدراسات العليا في الجامعة) إلى جدية البحث ، وإلى أن موضوعه جدير بأن يبذل فيه جهد الطالب والأستاذ .

وفي بعض الكليات يقدم الطالب عرضاً بسيطاً عن الموضوع أي سيمينار، ويعطى هذا فرصة لمناقشة الحاضرين من الأساتذة والطلاب. ولا شك أن فى ذلك فائدة للباحث نفسه بالإضافة إلى الفائدة التي يجنيها مجموع الباحثين الآخرين المشتركين في المناقشة .

المحاضرة السابعة

أماكن الحصول على المراجع:

بعد أن يستقر الباحث على موضوع بحثه يشغل نفسه فترة غير قصيرة يجمع المراجع والمصادر الأصلية التي تخدم موضوع البحث . وهذه المرحلة من أهم مراحل البحث لأن عليها يتوقف نجاح الباحث في المراحل التالية .

والباحث في هذه المرحلة عليه أن يلجأ إلى :

١- المكتبات ودور الكتب :

سواء مكتبات الكليات أو الجامعات أو المكتبات العامة ، أو مكتبات الهيئات الوطنية والدولية أو غيرها .

٢- دور المحفوظات الوطنية .

٣- دور المحفوظات في البلاد الأخرى التي ارتبطت في تاريخها بالدولة موضوع البحث .

٤- أرشيف وزارات الخارجية .

٥- الوثائق الموجودة في أماكن أخرى كالأديرة والكنائس أو طرفا الأفراد

٦- الشخصيات العلمية التي يعتقد أن لها اهتماما خاصا بموضوع البحث ولها دراسات فيه .

٧- الأشخاص الذين قد تكون لهم أو لأسرهم صلة بالأحداث موضوع البحث .

وسنحاول أن نوضح كيف يستفيد الباحث من كل منها.

فلابد للباحث من أن يكون ملما بكل المكتبات الجامعية وغير الجامعية التي في وطنه أولاً ثم المكتبات الهامة الخارجية .

ففي القاهرة مثلاً هناك مكتبات الكليات والجامعات المصرية المختلفة (جامعة القاهرة – جامعة عين شمس – الجامعة الأزهرية ...) وهناك مكتبة الجامعة الأمريكية ، ومكتبات مجلس الوزراء، والبرلمان ، وبعض مكتبات السفارات الأجنبية أو الهيئات ، وكان لبعضها في وقت من الأوقات أهمية خاصة لاحتوائها على العديد من الكتب النادرة . وهناك مكتبة تابعة لهيئة الأمم المتحدة (بجاردن سيتى) تحتوى على العديد من الكتب الخاصة بنشاط الهيئة الدولية ، كالكتاب السنوي الذي تصدره الأمم المتحدة عن القضايا التي نوقشت طوال العام ، وما يصدر من اليونسكو ، والهيئات المتخصصة التابعة للأمم المتحدة.

ولبعض الهيئات مكتبات خاصة تحتوي العديد من الكتب والمطبوعات الفريدة . نذكر على سبيل المثال (مكتبة جريدة الأهرام ، والجرائد الأخرى ، والأرشيف المرتبط بها) - فهي تحتوي العديد من الكتب والمراجع التي قد لا توجد في مكتبة أخرى بالإضافة إلى الصحف العالمية ، أو تطبيقاتها وكتاباتها عن موضوع معين كما أن لديها قسماً خاصاً بالميكروفيلم . وفي مقدمة المكتبات العامة - دار الكتب القومية وهي في القاهرة تابعة للهيئة العامة للكتاب (مقرها الحالي كورنيش النيل) .

يضاف إلى هذا مكتبات الجمعيات العلمية كالجمعية التاريخية ، والجمعية الجغرافية (بالتحرير) ومكتبتها تحتوى العديد من الكتب الفريدة التي قد لا نجدها في أي مكتبة أخرى ، وهناك جمعيات وهيئات أخرى كالجمعية الأفريقية ، وجمعية الاقتصاد السياسي ، بالإضافة إلى مكتبات بعض الهيئات كنقابة المحامين.

ولا نستطيع أن نسجل هنا على سبيل الحصر كل المكتبات الهامة التي يجب أن يكون الباحث ملما بها والتي يجب ألا يهمل أو يقصر في ارتيادها بحثاً عما يخص موضوع بحثه .

وليس المهم معرفة أماكن هذه المكتبات الهامة وارتيادها - لكن المهم أن يعرف الباحث كيف يستفيد من محتوياتها من مراجع ومصادر وغيرها .

وعلى الباحث أن يتعرف أولا وقبل كل شيء - على نظام المكتبة من حيث مواعيدها ، ونظام الاستعارة ، أو الاطلاع الداخلي بها ، والنظام المتبع في فهرسة الكتب بها ، وهل هناك فهارس مطبوعة بأسماء الكتب حسب أسماء المؤلفين أو حسب الموضوعات ، وهل هناك بطاقات ... وبعض المكتبات كمكتبة الجامعة الأمريكية بالقاهرة بها ميكروفيلم للرسائل الجامعية التي نوقشت في الجامعات الأمريكية.

ولا تكاد مكتبة من المكتبات الهامة الكبيرة تخلو حالياً من هذا القسم (قسم الميكروفيلم) . وتعتبر أقسام الميكروفيلم بما تحتويه من ذخيرة علمية من أهم الأقسام التي يجب أن يحرص الباحثون على الاستفادة منها – ولها بالطبع فهارسها الخاصة بها ونظامها الخاص في استخدام محتوياتها وأغلبها مزود بما تحتاجه من أجهزة لعرض وقراءة الأفلام.

ويجب أن يعقد الباحث صداقات مع القائمين بالعمل في المكتبات ، ويكتسب ثقتهم ، فعلى ذلك يتوقف جزء كبير من المساعدات التي تقدم له . وفي بعض المكتبات يوجد متخصصون في مختلف العلوم ، ويستطيع الباحث بعلاقاته الإنسانية أن يستفيد من خبرة هؤلاء ودرايتهم بمختلف المراجع والمصادر المتعلقة بموضوع بحثه في المكتبة .

المراجع (الببليوجرافيا):

وعادة يبدأ الباحث بكتب المراجع (الببليوجرافي) التي ترشده إلى المراجع والمصادر المتعلقة ببحثه .

وهي تمد الباحث ببيانات عن المراجع والمصادر وعدد صفحاتها وأماكن طبعها ، وسنوات الطبع، بل أن البعض يعطى بيانات توضيحية عن محتويات المراجع والمصادر المذكورة .

وقد عنيت بعض الجمعيات العلمية بإصدار هذه المجموعات ، بعضها عام ، وبعضها يتصل ببلد معين أو بشخصية معينة أو بعصر معين . وتمد هذه المجموعات الباحث بالعديد من المراجع التي قد تقوده بدورها لعدد آخر من المراجع والمصادر .

ومع ذلك لا تغنى هذه المجموعات عن جهد الباحث نفسه الذي يجب أن يبذله في البحث في قوائم المؤلفين أو قوائم الموضوع في المكتبات .

الدوريات التاريخية:

كذلك لابد أن يلم الباحث ببيان بالدوريات التاريخية الهامة التي تصدرها الجمعيات والهيئات العلمية والجامعات في الداخل والخارج . فالمقالات بهذه الدوريات لها من القيمة العلمية ما للمراجع بل تفوقها أهمية لأنها تصدر بصفة دورية منتظمة وفي فترات متقاربة ، ولذا فهي تحرص على نشر الأبحاث والآراء الجديدة التي لا تتضمنها الكتب بحركتها البطيئة .

الفيش:

ويجب أن يسجل الباحث منذ البداية وبكل دقة بيانات وافية عن المراجع والمصادر والكتب التي تقع تحت يديه مثل : المكتبة الموجودة بها هذه المراجع ، وأرقامها ورموزها بدقة ، واسم المؤلف ، وسنة الطبع ومكانه ، ومحتوياتها أو الموضوعات التي بحثتها ، وأية بياناه أخرى يرى أنها ستكون ضرورية له ،كبيانات مثلاً الخرائط أو الرسومات المتضمنة فيها أو المؤلف وقيمته العلمية واتجاهاته .

وأفضل طريقة تدوين هذه البيانات هي استخدام البطاقات (الجذاذات – الفيش) التي يسهل تنظيمها وتبويبها ، والاستفادة منها فيما بعد عندما يأخذ الباحث في جمع مادته وترتيبها وكتابة بحثه .

ويمكن للباحث أن يعد البطاقات بالحجم والشكل الذي يرتاح هو له ، كما أنها تتوفر في بعض المكتبات .

وبعض الباحثين لا يلتزم بطريقة البطاقات مع أنها أدق وأيسر طرق البحث العلمي – ولعل ذلك يرجع لعدم التعود أو التدريب عليها .

وبالطبع يتزايد عدد هذه البطاقات بالتدريج كلما تقدم الباحث في بحثه ، ويتيح نظام البطاقات للباحث حرية التغير والتعديل وإعادة التنظيم .

ويمكن للباحث أن يعد البطاقات بالحجم والشكل الذي يرتاح هو له ، كما أنها تتوفر في بعض المكتبات .

وبعض الباحثين لا يلتزم بطريقة البطاقات مع أنها أدق وأيسر طرق البحث العلمي – ولعل ذلك يرجع لعدم التعود أو التدريب عليها .

وبالطبع يتزايد عدد هذه البطاقات بالتدريج كلما تقدم الباحث في بحثه ، ويتيح نظام البطاقات للباحث حرية التغير والتعديل وإعادة التنظيم .

- دور المحفوظات(الوثائق) وأرشيف وزارات الخارجية :

لا يمكن أن يقوم التاريخ إلا على أساس من الوثائق .والوثائق قد تكون أثاراً أو مخلفات خطية أو نقوش .. الخ .

والمعرفة في التاريخ تبدأ عادة من الوثيقة " فالتاريخ يصنع من وثائق " – ولهذا فالعثور على الوثائق الخاصة بالوضع الذي ندرسه عملية هامة جداً – بل أن الغالب ألا يقدم الباحث على معالجة موضوع معين إلا بعد أن يعرف أنه توجد وثائق تسمح بدراسته .

والبحث عن الوثائق في مكانها هي الخطوة الأولى في المنهج التاريخي. وتحرص أغلب الدول على أن تكون لها دور خاصة لحفظ وثائقها القومية التي تتعلق بتاريخها .

وعلى الباحث أن بتعرف على ما في دور الوثائق – سواء الوطنية أو الأجنبية – من وثائق تخص موضوع بحثه ، ومهما تكلف من جهد أو مال في السفر والارتحال للاطلاع على ما يخصه منها، فإن ذلك كله يهون إزاء الفائدة التي تأتي من عثوره على الوثائق الأصلية وحسن استخدامها . فالبحث الذي لا يقوم على المصادر الأصلية بحث ضعيف لا يرقى للمستوى المطلوب ، والعثور على الوثائق الأصلية المتعلقة بموضوع البحث كالعثور على كنز ، لأن ذلك يفتح الباب أمام إثبات أو نفى بعض الأمور المتصلة بالبحث . والبحث يقيم عادة بعدى استفادة على الأصول

التاريخية . فقيمة البحث تتوقف على (الأصالة) أي المعلومات الجديدة الأصلية التي نضيفها إلى معرفتنا .

والمؤرخ الذي يهمل وثائق كان من شأنها أن توضح تلك التي في متناول يده واقتصر عليها – تكملها أو تنقصها – يكون بلا شك في موقف أضعف من الذي وصل إلى كل الأصول المتاحة المرتبطة بموضوعه .

وقد أشرنا من قبل أكثر من مرة إلى أن بعض الوثائق منشورة في كتب خاصة أو كملاحق لبحوث منشورة وبعضها غير منشور . وواجب الباحث مهما يكن الأمر أن تكون تحت يديه كافة الوثائق المتعلقة ببحثه مهما كلفه ذلك من جهد .. ومن لا يستطيع بذل هذا الجهد يجب أن يتنحى عن الاستمرار في بحث الموضوع الذي يتعذر عليه الحصول على الأصول الأساسية المرتبطة به .

ولا يمكننا هنا حصر دور الوثائق أو المحفوظات لكن لا تكاد دولة اليوم تخلو من دار للوثائق القومية ، والباحث الذكي يستطيع بفطنته وإرشاد أستاذه أن يحدد دور الوثائق التي تشتمل على مجموعات تتعلق بموضوع بحثه . ولا غضاضة في أن يبدأ بالكتابة لهذه الدور مستوضحاً الأمر ، وإن كان هذا لا يغنى بحال ما عن السفر بنفسه للبحث والتنقيب والاطلاع ومعرفة ما يخدم موضوعه من الوثائق وتصويره أو نقله ليكون تحت تصرفه عندما يأخذ في تنظيم مدته وكتابة بحثه.

هذا ونشير إلى أن بعض الوثائق قد توجد في الأديرة (مثل ديو سانت كاترين) ، والكنائس الأثرية ، وقد تكون طرف أفراد ارتبطت أسرهم بالأحداث موضوع الدراسة أو حصلوا عليها عن طريق أو آخر .

وقد لجأت وزارة الثقافة في المملكة المغربية إلى طريقة حميدة للحصول على صور من الوثائق العديدة التي طرف الأسر والأفراد – فهي تعلن كل عام عن جوائز ترصد لن يتقدم بما في حوزته من وثائق للوزارة تثبت أهميتها بعد أن تفحصها لجنة خاصة من المختصين فتصور وتعاد الوثيقة الأصلية لصاحبها .

وبهذه الطريقة يوضع تحت أنظار الباحثين كل عام عشرات الوثائق الجديدة بعضها على جلد حيوانات أو رقائق أو أوراق .. الخ .وهذه خدمة جليلة بلا شك للبحث التاريخي . فالتاريخ قائم على الأصول ، وإذا ضاعت الأصول ضاع التاريخ .

ولنضرب مثلا بالوثائق المحفوظة بدار المحفوظات المصرية بالقلعة ، وقد كانت هذه الوثائق موجودة بقسم الوثائق بقصر عابدين ، وأتيحت لمؤلف هذا الكتاب

فرصة قضاء سنوات متعددة للبحث فيها وأسهم بمجهود متواضع في تنظيم وترتيب بعض ما يخص تاريخ السودان الحديث منها . وكانت تشتمل على أقسام ، منها قسم خاص بالوثائق التركية و به مترجمون لترجمة ما يطلب منهم ترجمته إلى العربية ، وقسم خاص بالوثائق الأجنبية التي كان لها صلة بمصر وأحداثها في العهد التركي العثماني ، ويطلق على هذا اسم القسم ويرمز له بالرمز .

هذا وأشير إلى أن المؤرخ المشهور مسيو دوان قد استعان – استعانة كاملة بوثائق عابدين لإخراج كتابه المكون من عدة مجلدات عن فترة حكم الخديوي إسماعيل .

وقد وضعت تحت أمره خبرة كثيرين ممن كانوا يعملون في الأقسام التركية والحربية والإفرنجية في محفوظات عابدين .

وبالطبع لابد لمن يريد البحث في موضوع يتعلق بتاريخ السودان الحديث أن يطلع بالإضافة إلى وثائق دار المحفوظات المصرية بالقلعة الخاصة بهذه الفترة – على الوثائق بالخرطوم .

ومن أمثلة الوثائق الموجودة بمكتبة جامعة الخرطوم :

دفاتر وقائع عثمان دقنه .

مجموعة تقارير عن حصار الخرطوم وسقوطها (٢٠ أغسطس ١٨٨٧)

أما مكتبة مدرسة الدراسات الشرقية بدور هام بانجلترا : فقد أودع بها السير ونجت الذي كان سرداراً للجيش المصري ورئيساً للمخابرات ،ثم حاكماً عاماً للسودان – ما وقع تحت يديه من وثائق .

وهذه الوثائق مفهرسة ومنظمة ، وفي صناديق مرقمة ويمكن طلب الفهرس الخاص بها من الدار المذكورة .

أرشيف وزارات الخارجية :

كثير من الوثائق المتعلقة بوزارات المستعمرات السابقة موجودة بوزارات الخارجية في الدول المستعمرة ،فهناك المراسلات بين وزارات الخارجية وممثلي الدول سواء في العواصم الأوربية أو العواصم الإفريقية مثلاً أو غيرها .

وعادة يسمح للباحث بالاطلاع على ما في هذه الأماكن من وثائق طالما قد مضى عليها فترة زمنية بحيث أصبحت لا تمس سلامة الدولة - وذلك بعد إجراءات بسيطة

حتى يستوثق المسئولون من أن الهدف من وراء هذا العمل هو هدف – علمي فحسب – بالطبع هذا باستثناء بعض الوثائق التي قد تعتبر من الأسرار التي لا يسمح بالاطلاع عليها .

وعادة تسمح الدول بالاطلاع على الوثائق التي مر عليها أكثر من خمسين سنة – باعتبار أنه في خلال هذه الفترة انتهت الدواعي الوطنية التي كانت تدعو لحجبها . وقد بدأت بعض الدول ترفع الحظر عن الوثائق التي مضى عليها ثلاثون عاماً طالما لا تمس أحداثاً جارية تدعو لبقائها في طي الكتمان .

الأشخاص الذين لهم اتصال بالأحداث :

قد يستطيع الباحث أن يتصل ببعض الأشخاص الذين لهم اتصال بالأحداث ، وقد تكون لديهم مذكرات مكتوبة ، وليست منشورة عن بعض ما يتعلق ببحثه .

ولاشك في أن الاتصال – إذا تيسر – بالأشخاص المشتركين في الأحداث لمعرفة رأيهم الشخصي أو الاستفسار عن أمر غامض مفيد .

فمن يتعرض – مثلاً - للكتابة عن الاستعمار الفرنسي للجزائر قد يجد فائدة في الاتصال بأسرة المجاهد الجزائري الأمير عبد القادر ، وبالمثل من يكتب عن الاستعمار الأسباني في المغرب – يستفيد إذا أمكنه الاتصال بأسرة الأمير عبد الكريم الخطابي وقد يعثر لديها على مذكرات خطية للأمير كتبها في منفاه أو أثناء إقامته في مصر كلاجئ سياسي أو غير. ذلك .على أن الباحث يجب أن يكون دائماً على حذر ،فلا يقبل رأياً على أنه حقيقة لاشك فيها ، بل عليه أن يقلب الأمر من جميع وجوهه قصد الوصول للحقيقة المطلقة .

هذه هي بعض التوجيهات بخصوص المصادر والمراجع التي يلجأ إليها الباحث للحصول منها على المادة العلمية الخاصة بموضوع بحثه .

المحاضرة الثامنة

بعد أن توصل الباحث لمراجع بحثه ومصادره الأصلية لعل الأسئلة التي تفرض نفسها عليه وعلينا هي :

١-كيف استفيد من هذه المصادر والمراجع ؟

٢-إلى أي حد يمكن الاعتماد على مادتها العلمية ؟

٣-هل يجب مناقشة الآراء المختلفة ، والوصول إلى رأى شخصي يرجح بعض الآراء ، وينفي الأخرى ؟.

٤-وما الحدود التي يجب ألا يتخطاها الباحث في ذلك ؟

٥-كيف يسجل الباحث بعد ذلك ما وصل إليه من نتائج ؟

٦-ما الصورة النهائية التي يجب أن يكون عليها الباحث ؟

وللإجابة على هذه الأسئلة نوضح أولا المراحل التي تمر بها المادة العملية (المادة الخام) لتصبح مادة صالحة لبناء النسيج الذي يتكون منه البحث .

الأصول التاريخية وكيفية الاستفادة منها :

ولنبدأ بالأصول التاريخية وكيفية الاستفادة منها :

لما كانت الحقيقة في ذاتها هي الهدف الذي يرمى إليه الباحث – لذلك كان لابد من التأكد من أن (الأصول) أو الوثائق التي يبنى عليها استنتاجاته صحيحة وأنها ليست مزيفة تزييفاً كلياً أو جزئياً .

وقد ظهر أن كثيراً من الأصول التي استخدمت في الماضي دون نقد أو تمحيص مزيفة ، وبالطبع فكل ما بني عليها من استنتاجات لا قيمة له ، ومن ثم ذهب كل جهد بني على هذه الأصول المزيفة هباء .

ولذا ينصح الباحث أن يتأكد أولاً من أصالة النص بأن يبدأ بنقد الأصل – فإذا ثبتت صحته بصورة قاطعة يمكن أن يستخدمه باطمئنان .

والنص يتعرض لنقد ظاهري ، ونقد باطني ، والمؤرخون الألمان يتخذون لفظ (فحص بدلاً من نقد) .

يقصد به التأكد من شخصية كاتب النص ، ومن صحة نسبه إليه ، وذلك بطرق مختلفة ، كاختبار نوع الحبر المستخدم ، والقلم الذي كتب به النص ، ودراسة اللغة ، والأسلوب ، والمصطلحات، والصيغ الخاصة بالفترة التي كتب فيها النص ، هذا بالإضافة إلى العادات الجارية في ديوان من الدواوين في زمان من الأزمنة ، أو الخصائص المشتركة بين كل الوثائق التي من نوع معين والتي ثبت يقينا أنها صحيحة .فالباحث عليه أن يعقد مقارنة بين عدد كبير جداً من الوثائق المتشابهة قبل أن يصدر حكماً جازماً على حالة معينة أمامه .

وتتطلب عملية النقد هذه جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن كاتب النص ، وهذا يخدم في الحكم على مدى تحريه الحقيقة ، ومدى علاقته بالأحداث التي كتب عنها . وهل شاهدها بنفسه أو اشترك فيها أم أنه يكتب عن أشياء سمع عنها فقط ، وهل مضى وقت بين وقوع الحدث نفسه وبين تدوينه .

فقد يكون النص صحيحاً غير مزيف ، وقد يكون كاتبه من الأشخاص الذين عرف عنهم تحرى الصدق فيما يكتبون – لكن لبعد الزمن بين وقوع الحادث وبين تدوينه يلتبس عليه الأمر فيمهل ذكر تفاصيل هامة أو يخطئ عن غير قصد في ذكر أحداث معينة . فمعرفة كاتب الأصل وتاريخ كتابته وعلاقته بالأحداث – كل هذه تهم وتخدم في الاطمئنان على دقة ما جاء بالنص .

والنص الأصلي قد يكون بخط المؤلف أو قد يكون مملى ويكون المؤلف قد راجع الإملاء ، وفي هذه الحالة يعتبر النص في مرتبة النسخة التي بخط المؤلف .

ويعطى دكتور أسد رستم أمثلة لبعض النصوص والوثائق التي احتوت أموراً هامة وخطيرة ونسب صدورها لأشخاص معينين – لكن ثبت بعد ذلك أنها مزورة ومدسوسة على أصحابها .

ومن هذا القبيل نوع من التزوير لم يسلم منه كثير من الأصول . ذلك أن أصحاب الكتب الخطية كانوا في بعض الأحيان يضيفون في المخطوط الذي تحت أيديهم على الهامش أو في أواخر الفصول والأبواب أخبار أو آراء جديدة تتعلق بما جاء بالمخطوط ، وتمر الأيام وتضيع النسخة الأصلية للمخطوط ، وينسخ الكاتب مرة أخرى من النسخة المنقولة بإضافتها ، وتدخل الزيادة في الأصل ، ويختلط الشرح بالمتن ، ويختلط الأمر على المتأخرين فينسب كل ما في النسخة الخطية المتأخرة بما فيها من إضافات إلى المؤلف الأصلي . وهو نوع من التزييف فنحن ننسب للمؤلف ما هو في

الحقيقة من تحريف الناسخ .

<u>والإضافات من هذا القبيل على نوعين :</u>

(أ) الحشو : والبعض يطلق عليه لفظ (الدس) ويقصد به إدخال كلمات أو جمل (إضافات) في النص لم تكن فيه من قبل .

(ب) الإكمال : يقصد به إضافة لأحداث أخرى للنص الأصلي بأيد أخرى دون أن يهتم المكمل بذكر أين ابتدأ إكماله وأين انتهى .

وفي بعض الأحيان يمكن بيسر فصل الوثيقة الأصلية عن الإضافات – كأننا نستعمل مقصاً ، وفي أحيان أخرى يختلط الأمر فيصعب تمييز مواضع اللحام .

وفي هذه الحالة تصبح مهمتنا محاولة استعادة الأصل أو على الأقل عزل الوضع السقيم المشكوك فيه .

ويعطى دكتور أسد رستم أمثلة لبعض الكتب التي نشرت اعتمادا على نسخ خطية دست فيها أخبار كثيرة ثبت فيها بعد أن تاريخ حدوث بعضها لاحق لتاريخ وفاة المؤلف الأصلي نفسه .

وهكذا يصبح من اللازم التحقق من أصالة الأصول . وإن كان الأمر يستلزم من الباحث – قبل الاعتماد على الأصل – بذل جهد مضن سواء بدراسة الوثيقة من حيث زمن كاتبها أو أسلوبه أو طريقة التدوين في ذلك الوقت أو نوع الأوراق المستخدمة – إن كانت رسمية أو غير رسمية – أو أختامها أو طريقة الكتابة نفسها سواء من حيث طريقة توجيه الخطاب أو الرسالة أو طريقة إنهائها ، أو غير ذلك من الوسائل التي يتذرع بها الباحث للتأكد من أن الأصل الذي سيستخدمه صحيح . وقد يصل الباحث بعد الجهد الذي بذله لاختيار النص إلى تقرير حقيقة مرة وهي أن النص الذي أيدينا لا يمكن إصلاحه والاعتماد عليه .

الأصول التاريخية المخطوطة

وفيما يتعلق بالأصول التاريخية المخطوطة نقسمها إلى أربع حالات :

١- أصول بخط المؤلف ، ويمكن للباحث إذا اطمأن بكافة الوسائل إلى أن الأصل بخط المؤلف – دون شك – أن يستخدم هذا الأصل ، وأن يعتمد عليه وهو مطمئن ويمكن أن نطلق على هذه الأصول " أصول من الدرجة الأولى " .

٢- في حالة فقد الأصل ووجود نسخة وحيدة منقولة من الأصل . على الباحث في هذه الحالة أن يحاول دراسة هذه النسخة دراسة تحليلية ، فيدرس حياة المؤلف ، ويحاول أن يلم بظروفه ، وأسلوبه ، إلى غير ذلك في محاولة للوصول إلى حقيقة الأصل المجهول – ولا يجب أن نبالغ في الشك في بعض النصوص التاريخية التي لم ينالها تغيير أو تبديل . وهذه الأصول نعتبرها "أصولاً من الدرجة الثانية " .

٣- في حالة ضياع الأصل ، والعثور على عدة نسخ منقولة منه فيها بعض الاختلاف .

وهذا يتطلب من الباحث دراسة مقارنة في محاولة لتحديد النص الأول أو أقرب ما يمكن إليه .

وهناك منهج لتصنيف النسخ الفرعية ومقابلتها ببعضها .

ويلاحظ أن تشابه عدد من النسخ لا يعنى بحال ما أنها هي الأقرب إلى الأصل فقد تكون كلها مأخوذة من نسخة واحدة بعيدة عن الأصل الضائع .

كما يجب ملاحظة أن الأقدمية النسبية لنسخة ما ليست لها أية أهمية ومميزة عن نسخة في عصر تال .

ـ العثور على أصل المؤرخ مجهول .

وعلى الباحث في هذه الحالة أن يحاول التعرف على شخصية كاتب النص ، ويتثبت من ميوله ونزعاته ودرجة علمه وذكائه واتصاله بالحوادث التي يروى أخبارها ، ولابد من الوقوف على الزمن الذي كتب فيه هذه الأخبار والمكان الذي سطرت فيه .

أراء في الأصول التاريخية :

أن الأصول – كما يقول د .أسد رستم " هي في غالب الأحيان صلتنا الوحيدة بحوادث الماضي – فإن أخبرتنا الخبر على حقيقة توصلنا إلى الحقيقة التي ننشدها ، وإن أرجفت فخاضت في الأخبار المخطئة أو الكاذبة أوقعتنا في مهاوى الظلال والتظليل .. ومهمة الباحث في البحث عن حقيقة النص وصاحبه هي أصعب بدرجات من مهمة القضاة والمحامين إذ أن هؤلاء يتحدثون إلى من ينقل الخبر إليها ويمتحنونه بالاستنطاق ، فهو مخبر حتى ماثل أمامهم – أما مخبر المؤرخ فإنه مبيت خلا مكانه ، وطويت صحيفته " .

ويعطى بول مارس –صوراً للتحريفات التي طرأت على الأصول في نسخ منقولة فيذكر منها أغلاطاً في النقل مرجعها إلى الإدراك حين يخيل للناسخ أن ثمت أغلاطاً في الأصل فيصححونها لأنهم لم يفهموها – وهناك أغلاط عرضية تحدث حينما يسهون في قراءة الأصل أو لا يعرفون أن يقرءوه ، أو حينما يسيئون السماع وهم يكتبون عن إملاء ، أو حينما يرتكبون عن غير قصد سقطات قلميه أو حذف عدة أسطر مثلا .

أما الدكتور عبد الرحمن بدوى فيعطى أمثلة لما أضافه النساخ لكتابة (الرسالة) للشافعي فقد طرأ في الكلام تحريفاً لجهلهم – فاستبدلوا غيره ، خاصة أن الشافعي كان يستخدم تعابير في غاية من الرصانة والجزالة ، ومتانة السبك مما يدل على

عربيته الأصيلة في الكتابة – وهكذا تصبح مهمة الباحث أن يستخرج القراءة الصحيحة التي أملاها الشافعي على تلميذه (الربيع) ويستبعد الغريب .

وإذا كان هذا يتعلق بالأصول المخطوطة ، فإن نفس الشيء ينطبق على الأصول المطبوعة

وقد أورد الأستاذ فلنج أمثلة لأحداث هامة ترتبط بالثورة الفرنسية وغيرها نشرت في أكثر من مصدر بنفس الشكل – لكن ثبت عدم صحتها لأن النص الأول لم يتحرى الدقة فيما نشره ، وأما المصادر الأخرى فقد نقلت عنه دون تحقيق . وهكذا يتضح لنا أهمية التثبت من نصوص الأصول التاريخية قبل الاعتماد عليها ، وذلك عن طريق فحص (نقد) النص من الناحية الظاهرية أي دون التعرض لباطن الكلام والوقوف عند معناه

ونتيجة مثل هذا الفحص – كما يقول ماس بول – هي الحكم الأول على النص هل هو محتمل أو غير محتمل .

وبالطبع ليس هناك معيار مطلق للحسن أو السوء –لكن كثيراً من الباحثين – نشعر لأول وهلة أنهم لم يبذلوا الجهد المطلوب للتحقق من صحة النصوص التي يستخدمونها ، وهؤلاء يوصفون عادة بأنهم يعوزهم النقد ، لكن مع ذلك فإن الإفراط في الشك والاتهام يكاد يكون له نفس النتائج الضارة التي للإفراط في الثقة .

المحاضرة التاسعة

النقد الباطني (الداخلي)

يعتبر النقد الخارجي مجرد عملية تحضيرية – فهو مجرد نفض التراب عن الوثائق الأصلية لإعدادها للمرحلة التالية – مرحلة النقد الداخلي .

والنقد يبدأ عادة (بالتحليل) – ويتم النقد الباطني في مرحلتين :

١- نقد باطني إيجابي .

٢- نقد باطني سلبي .

أما النقد الباطني الإيجابي

– فيقصد به تحليل النص التاريخي للوصول إلى المعنى السليم للألفاظ كما قصد بها الكاتب ، أي للوصول إلى مضمون الوثيقة ومعرفة الظروف التي دون فيها الكاتب النص .

فالمفروض أن نصل إلى ما كان يدور بذهن كاتب النص نفسه لا أن نخضع تفسير النص وألفاظه ومدلولاته لفكرنا نحن . وكثيرون من الباحثين يحملون النصوص فوق ما تحتمل من معاني . والبعض لا يجذب انتباهه في الوثيقة إلا الجمل أو الكلمات التي تتجاوب مع تصوراته هو .

وتحليل النص وتفسيره يمر بمرحلتين:

١- تحديد المعنى الحرفي لألفاظ النص وجمله وهذه عملية لغوية بحتة .

٢- إدراك المعنى الحقيقي أو بالأحرى غرض كاتب النص الإجمالي – فقد يكون قد قصد ببعض التعبيرات الرمز أو الفكاهة والتعرية أو التعريض أو الإعجاز أو المجاز اللغوي .

ولابد من مراعاة قاعدة السياق أي أنه يجب فهم العبارة أو الكلمة وفقاً للسياق الذي توجد به فكثيراً ما تختلف معاني العبارات أو الكلمات وفقاً لاختلاف الأماكن التي تستخدم فيها .

ويجب مراعاة عدة حقائق :

١-أن اللفظ قد يكون له في زمن الكاتب معنى غير المعنى المستخدم اليوم ، وبالطبع كاتب النص يقصد المعنى الشائع في وقته - فالباحث عليه إن يلم بلغة العهد الذي كتب فيه النص، ومعاني الألفاظ ومدلولها في زمنها .

٢- تختلف بعض المفردات والألفاظ اللغوية من إقليم لأخر ، ولذا يجب أن يكون الباحث ملماً بمدلول الألفاظ في المنطقة أو الإقليم المتصل بالنص في هذا العصر بالذات الذي كتب فيه النص ، ويمكن أن يستعين الباحث في ذلك بالمعاجم اللغوية .

كما أن على الباحث أن يكون على علم بالأخطاء الشائعة الخاصة بكتابة لغة من اللغات في عصر من العصور أو بكتابة كاتب معين .

وكما سنشرح بعد – إن المؤرخ ملتزم عند الاستشهاد بنص ما أن يبقيه كما هو بألفاظه وأخطائه – أن وجدت – فلا يجب حتى مجرد إبدال لفظ عامي بما هو مقابل

له باللغة الفصحى ، أو العامية أيضاً تتغير بتقديم أو تأخير أجزاء جملها بعضها عن بعض ، والتاريخ كعلم يتطلب الحقيقة كما هي لا كما يجب أن تكون .

٣ – أن كثيرين من الباحثين يحاولون أن يصلوا من تحليلهم للنصوص لتأكد فكره سابقه كونوها مقدما من الوقائع – فالباحث في هذه الحالة لا يخرج عن كونه ألف نصاً خيالياً مكان النص الحقيقي للمؤلف ، وهذا أمر غاية في الخطورة .

٤- لكل كاتب طريقته الخاصة في التعبير –وكما ذكرنا سابقاً – فإنه يجب الإلمام بطريقة الكاتب في الكتابة من حيث الأسلوب واللغة ، وما شابه ذلك من وسائل التأكد من صحة نسبة النص لهذا الكاتب بالذات .

ويجدر بالباحث أن يطلع على كتابات أخرى للكاتب أن وجدت .

٥- يجب أن نصل في النهاية إلى تفسير النص كوحدة والمفروض أن يصل الباحث للمعنى الذي يقصده الكاتب ذاته وإلى نظرته الصحيحة في تصور الأمور .

وليس معنى هذا أن يسرف الباحث في التشكك في معاني الألفاظ الحقيقية – لكنه أيضاً لا يجب أن يحملها فوق ما تحتمل فنحن نثبت الأخبار كما رواها مشاهدها لا كما كان يجب عليه – من وجهة نظرنا – أن يرويها

بهذه الطريقة يمكن أن يطمئن الباحث إلى أن ما تحت يده يعبر تعبيراً كاملاً عن وجهة نظر للكاتب . ويوجب ماس ، بول على الباحث أن يوضح بالإشارات الواضحة ما يرى استبعاده من النص الأصلي لأنه – كما يعتقد – دخيل عليه ، أو ما يرى إجراءه من تغيرات أخرى لرد النص لأصله ، ويعطى هو بياناً بالإشارات التي يمكن استخدامها كإشارات للمحذوف من النص أو المضاف على الأصل .

النقد الباطني السلبي :

لا يجب أن نأخذ المعلومات الواردة في الأصل التاريخي على أنها تعبير عن الحقيقة خالصة –فكثيراً ما حاد الكاتب عن ذكر الحقيقة تحت ضغط ظروف معينة أو حسب أهوائه وميوله ، بل أن الأصول الرسمية من معاهدات ، واتفاقات معلنة وغيرها ظهر أنها لا تعبر تماماً عن كل الوقائع التي اتفق عليها وأن بعضها قصد به إخفاء البنود المتضمنة في اتفاقات سرية لم يعلن عنها ، وقد لا يكتشف أمرها إلا بعد سنوات وبعد أن تكون قد حققت الغرض من بقائها في طي الكتمان – وقد سبق أن أشرنا للاتفاق السري بين انجلترا وفرنسا ..... بين الدولتين في عام ١٩٠٤ .

وقد ذهب بعض علماء التاريخ إلى أن " شك المؤرخ رائد حكمته " – وأن الأصل في التاريخ الاتهام لا براءة الذمة حتى تثبت هذه البراءة بما لا يدع مجالاً للشك .

وكما يذكر انجلو وسينوبوس – أن نقطة الابتداء للباحث هي (الشك المنهجي) في النص – فكل –ما لم يثبت بعد ينبغي أن يظل مؤقتاً موضوعاً للشك ، فينبغي على المؤرخ أن يرتاب في كل أقوال المؤلف لأنه لا يدري لعل قوله كذب عن عمد أو خطأ عن غير قصد .

ومهما يكن سبب الخطأ فإذا كان الكاتب قد أعطى معلومات غير دقيقة فيستوى أن يكون قد نقل كذباً أو خطأ ، ولا جدوى من محاولة التمييز بين النوعيين .

وعلى هذا فعلى الباحث في التاريخ أن يجعل قدراً كبيراً من الشك كنقطة البدء في بحثه .

وبالطبع فإن الباحث إذا وجد تعارضاً في المعلومات الواردة في الأصول التاريخية عن موضوع معين ، فذلك يدعوه للاعتقاد بإمكان وجود الكذب أو الخطأ – ومن ثم تصبح عملية (النقد الباطني السلبي) عملية ضرورية لتصفية الحقائق وغربلتها واستبعاد الزائف منها .

اسباب عدم ذكر الحقيقية التاريخية:

وقد يضطر كاتب الأصل التاريخي أو الراوي لعدم ذكر الحقيقية تحت ضغط ظروف معينة عن قصد أو غير قصد –منها مثلاً :

١- أن تكون هناك أسباب وراء عدم ذكر الحقيقة ، وهذه الأسباب قد تكون سياسية أو حربية أو قومية . وهو ما يعبر عنه

(بالظروف العامة التي عمل فيها المؤلف) فالمؤلف عضو في عدة جماعات : الأسرة ، والإقليم ، والوطن ، والفرقة الدينية ، والحزب السياسي ، والطبقة الاجتماعية ، وبالطبع قد تكون لجماعة منها أو أكثر مصلحة يتشيع لها وتفرض عليه اتجاهاً خاصاً .

٢- قد يقع الكاتب أو الراوي تحت ضغط ما فينحرف عن ذكر الحقيقة .

٣- قد تكون له مصلحة معينة تدفعه لأن يتعمد الكذب أي أن هناك دوافع تنحرف به عن ذكر الحقيقة .

٤- يجوز أن يكذب إرضاء للجمهور .

٥- قد تكون هناك عوامل نفسية وراء عدم ذكر الحقيقة كالغرور الشخصي .

٦- قد يكون أسلوب الكاتب نفسه ، واستخدامه لألفاظ وتراكيب معينة بهدف التأثير في النفس – من دواعي الحيدة عن الحقيقة .

٧- وهناك عوامل شخصية تتعلق بقوة الملاحظة وسلامة الحواس ، وغير ذلك مما يتوقف على مدى دقة المشاهد في ملاحظة الأحداث التي يعانيها ويرويها كشاهد عيان . ولذا فقد ذهب البعض إلى أنه لابد من مجموعة أسئلة عامة نحتكم إليها للحكم على الظروف التي أحاطت بالمؤلف وبكتابة الوثيقة .

ويحذر الدكتور أسد رستم من أخذ كل ما يكتبه أي كاتب مهما عرف عنه الصدق – على أنه صحيح لا يقبل الشك والبحث في صحته من عدمه – ويضرب عدة أمثلة لذلك فيذكر مثلا الطبري الذي اشتهر بالعدل والصدق والأمانة لكن لا يمكن أخذ جميع أقواله قضايا مسلما بها ، فيجوز أن يكون صادقا دقيقا في بعض ما يقول ويكون على عكس ذلك في بعض أقواله الأخرى.

كذلك ابن خلدون لم يراع في كتابه " العبر وديوان المبتدأ والخبر " – الدقة التي دعا هو إليها ، ولم يتجنب بعض الأخطاء التي دعا إلى تجنبها .

ويشرح أنجلو وسينوبوس هذا الوضع بتفصيل فيذكر أن بعض الباحثين يطبقون على المؤلفين الإجراءات القضائية التي تقسم الشهود إلى شهود عدول ، وشهود زور ، وينتهي بهم الأمر إلى القول – كما في المحاكم – أن (عبء الدليل) يقع على عاتق المفكر لشهادة مقبولة ، وهو يحذر من أخذ مجموع الكاتب ككل تقبل بجملتها أو ترفض كلها .

وإذا كان النقد والشك إلى أن تثبت صحة النص لازما وضروريا في حالة الاعتماد على المصادر الأصلية – فالأمر أكثر مدعاة للتدقيق وللفحص والتحليل إذا اضطر الباحث للاعتماد على مصادر ثانوية لضياع الأصول الأولى .

ويعطى د .عبد الرحمن بدوى أمثلة للأحاديث المزيفة ، فيذكر مثلا أن (عكرمة) في روايته عن ابن العباس قد زيف الكثير من الأحاديث مع أنه روى عن صحابى ، كما أن الكثير من الأحاديث التي نسبت إلى أبي هريرة غير صحيحة ، وما كان هو في الواقع غير تكأة لكل من يحاول أن يزيف حديثا – ويتساءل الدكتور بدوى إذا كان هناك في الأحاديث التي نعرف روايتها ، فبالأحرى يكون الأمر بالنسبة إلى

الرواة الذين نقل عنهم المؤرخون ، وكل المؤرخين تقريبا قد اعتمدوا على رواة مجهولين .

ولعل التساؤلات التي تفرض نفسها على الباحث نتيجة تحليله النصوص التي تحت يديه هي :

١- ما الوضع لو أن حدثا تاريخيا لم يتعرض له إلا مصدر واحد أو كاتب واحد ، أو كان لدينا مخطوط وحيد ؟

٢- ما الوضع في حالة تعارض الأصول والمصادر ، وتناقض الروايات بشأن حادث تاريخي معين؟

٣- وما الوضع في حالة إذا اجتمعت أصول متعددة على رأى معين ووجد مصدر يقول برأي مخالف ؟

٤- ما الوضع في حالة تعارض ما ذكرته الأصول التاريخية مع حقائق تاريخية معروفة ، أو إذا كانت الأحداث المذكورة لا ترابط ولا تآلف بينها

وخلاصة ما ذهب إليه بعض المؤرخين:

١- يجب أن يبتعد المؤرخ كل الابتعاد عن الروايات والآراء التي ينفرد بها رأي واحد .

ويذكر د . أسد رستم أنه إذا كانت العلوم الطبيعية التي تستند على المشاهدة والاستدلال القياسي ، والتحقيق والتجربة تبتعد كل الابتعاد عن الإطلاق في النتيجة عن مشاهدة واحدة ، فالتاريخ أولى بذلك منها لأنه بعيد عن المشاهدة ، ولا يمكن الاستدلال عليه بالقياس أو التجربة.

٢- في حالة تعارض المصادر – ليس من عمل المؤرخ أن يوفق بين الأخبار المتعارضة باتخاذ موقف وسط بينها – فقد يكون أحدها صحيحا والآخر خطأ .

ولذا فعمل الباحث هو السعي للوصول للرأي الصحيح الذي لا يقبل الشك .

لكن إذا لم يستطيع ذلك فليس هناك ما يضطره لإصدار حكمه " فالعالم من يعمل أنه لا يعلم ".

وعلى الباحث أن يذكر صراحة أنه لم يستطيع في حدوده المادة المتاحة له ترجيح رأي على آخر.

٣- من الجائز أن الرأي الذي لم يجمع عليه عدد من الآراء التي كررتها أصول متعددة هو الصواب ، فلا عبرة بالعدد في بعض المسائل التاريخية ، ومن المحتمل أن الرأي المكرر راجح للنقل من مرجع واحد لم يتحرى الدقة .

٤- والباحث ليس ملزما بالأخذ بآراء أجمعت المصادر عليها إذا كانت متعارضة مع حقائق تاريخية معروفة أو إذا كانت الأحداث المذكورة ينقصها الانسجام والتآلف اللازمين بين الحقائق التاريخية .

فالباحث بجب أن يلاحظ العلاقة والارتباط والتآلف بين الأحداث المختلفة فهو ملزم بذلك – على الأقل – حين يبدأ في الكتابة والربط بين الأحداث .

٥- النتائج التي يصل إليها الباحث يجب أن تكون مطمئنة وقائمة على أساس سليم من الاستدلال ، والمماثلة أو ما قد نطلق عليه قياس النظير أو الاستقرار .

٦- وينصح ماس بول الباحث عند دراسته التفصيلية للنص أن يقسمه إلى فقرات ، ويلتزم بوضع علامات الترقيم وما إلى ذلك ، وإن النص في صيغته النهائية يجب أن يكون بشكل يوضح فيه الفصل بين الكلمات ، والفقرات ، وتوضع علامات الترقيم ، وتبدأ أول كلمة في الجملة بحروف كبيرة (في اللغات الأجنبية بالطبع) ...الخ . بحيث يسهل قراءته وفهمه وتفسيره – ويعبر عن هذا (بالنشر النقدي) .

وهكذا يبدو لنا بوضوح أن الباحث وراء الحقيقة التاريخية عليه أن يبذل للوصول إليها كل جهد ووسيلة ، وأن عليه أن يبدأ بالشك حتى يصل إلى اليقين ، وأن يتحقق أن الأصل الذي سيعتمد عليه صحيح وليس مزيفا ، وللوصول لذلك لابد من البحث عن الظروف التي ربما أثرت في إنتاج والمؤثرات التي قد تؤثر عليه مثل الوطن أو الحزب أو الشيعة أو الأسرة أو المصالح كذلك مواهب المؤلف ، والاستعمالات اللغوية المعتادة في ذلك العصر ، وكيفية نقل الوقائع والشكل الذي تمت به عملية النقل .

كل هذه المعلومات يمكن أن نصل إليها عن طريق ثبت من الأسئلة . وإذا تم ذلك يمكن أن نقوم بتحليل الوثيقة ومحاولة فهم المعاني التي يريد واضعها أن يعبر عنها . وبهذا نصل إلى أن يكون عمل الباحث قائما على أساس سليم ، وتكون النتائج التي يصل إليها مطمئنة .

ويذهب أنجلو وسينوبوس إلى أن الواقعة (القول التاريخي) حتى إذا ثبت صحتها بعد كل هذه المحاولات فهي ليست إلا ملاحظة تحتاج لتأييدها إلى

ملاحظات أخرى – فالواقع العملية هي النقاط التي تجمع عليها ملاحظات مختلفة ومتقدمة وهذا ما يطلق عليه عملية (مقارنة الأقوال).

وهكذا تمر الوثيقة التاريخية في طريق شاق طويل حتى يستطيع الباحث أن يبني عليها تصوره للأحداث التاريخية .

المحاضرة العاشرة

مباحث هذا الفصل

أولا – الاستفادة من المادة التي جمعها الباحث (العمليات التركيبية):

*بناء النسيج التاريخي المتجانس من المادة الخام المجموعة (الربط بين المعلومات والآراء المتعددة)

*تعديل المشروع الأولى للبحث في ضوء المادة المجموعة .

*تنظيم الحقائق التاريخية حسب قواعد محددة .

*مراعاة التسلسل التاريخي والترابط بين الأحداث والموضوعات.

*المقارنة بين الأحداث المتشابهة .

ثانيا- الاجتهاد وحدوده :

*دواعي الاجتهاد.

*الاجتهاد السلبي – مثال لذلك

*الاجتهاد الإيجابي – قواعده وحدوده.

ثالثا- التعليل والتحليل والإيضاح:

-أهمية ، ودلالته على شخصية الباحث وقدرته على ربط النتائج بمسبباتها.

- العوامل التي تساعد على الوصول للعلل والأسباب الصحيحة :

الدراسة المقارنة – الإلمام بالظروف المحيطة بالحادث – تفهم التغيرات في المجتمع الذي ندرسه .

-هل يعيد التاريخ نفسه؟

تساؤلات:

بعد أن جمع الباحث مادته العلمية من كافة المصادر والمراجع – يجد نفسه وقد تجمعت لديه كميات كبيرة من المعلومات المتناثرة – يسأل نفسه :

_كيف أستفيد من كل هذه المعلومات؟

وفي نفس الوقت يشعر الباحث انه رغم ما جمعه من مادة – أمامه بعض الثغرات التي لم يستطع سدها عن طريق المادة التي جمعها من المصادر والمراجع – وهنا يتساءل أيضا:

هل يسكت عن هذه الأحداث عملا بقول علماء المنطق " السكوت حجة "أم يجتهد ويحاول استنتاج الحقائق الناقصة في ضوء المعروف – وما الذي يجب أن يراعيه في هذه الحالة ؟

وسؤال آخر يفرض نفسه على الباحث في هذه المرحلة هو : هل يثبت الحقائق كما وصلت إليه من مصادرها أم أن عليه أن يحاول أن يستنتج الأسباب والعلل لما حدث؟

وهل هناك شروط يجب مراعاتها أيضا في هذا التعليل والإيضاح ؟.

أولا – الاستفادة من المعلومات التي جمعها الباحث (العمليات التركيبية) :

عملية بناء النسيج التاريخي من المادة الخام (الأصلية) التي تجمعت تحت يد الباحث من أهم وأدق العمليات ، وتظهر فيها مهارة الباحث وقدرته .

فالمؤرخ – على حد تعبير رنكة (Ranke) المؤرخ الألماني في القرن التاسع عشر – عليه أن يستعيد _ في ضوء المعلومات التي تجمعت لديه – الوقائع التاريخية كما كانت عليه بالفعل بالماضي ،وكأنه عاينها بنفسه ، فهو مطالب بأن يحيا في داخل الأحداث الماضية ،كما يجب عليه أن يؤلف من الملامح المتناثرة في الوطن صورا متكاملة ،هذا بالإضافة إلى القدرة على التعليل والإيضاح ، وإصدار الأحكام السليمة بالمقارنة بين الحقائق التي تجمعت حول مواضيعه المختلفة .

ومهمة الباحث هنا تشبه مهمة المهندس الذي توفرت لديه المواد الخام ، وعليه أن ينسق فيما بينها ،مراعيا الشروط القانونية والهندسية للبناء وفي نفس الوقت مستخدما أسلوبه الفني ومهاراته في حسن العرض والتنسيق .

ورغم أن الباحث – كما ذكرنا في البداية – قد وضع خطة أولية للبحث تتضمن أقسام البحث والمواضيع والمشكلات الهامة التي ينوى تناولها – لكن لابد أن تتسم هذه الخطة بالمرونة المتناهية – فتعدل وتبدل حسب ما أسفرت عنه نتائج الجهد المضني الذي بذل في جمع المادة العلمية ونقدها وتحليلها ، فقد تستجد مشكلات جديدة ، ومواضيع جديدة بالبحث ، وقد يستغنى عن أشياء بدت لأول وهلة مهمة ولكن ثبت عدم أهميتها للبحث ، وقد تعدل أقسام البحث بالتقديم أو التأخير أو الحذف أو الإضافة . وللاستفادة من المعلومات والآراء المجموعة على أحسن وجه يجب **على الباحث مراعاة ما يلي :**

١-الربط والتأليف بين المعلومات المتعددة :

فالمبحث التاريخي – كما أسلفنا القول – وحدة متكاملة متجانسة لا نشاذ فيها . والبحث يجب أن يظهر من أوله لآخره كبناء واحد متماسك وهذا يحتاج لمهارة الباحث وقدرته على حبك خيوط هذا النسيج المكون من العديد من الخيوط التي جمعت من مصادر ومراجع متعددة ومتناثرة ، والباحث الذي يعيش الأحداث التي يعالجها و يعايشها قادر على أن يخرج من كل الدراسات التي يقوم بها بموضوع متكامل .

٢-الانتقاء أو المفاضلة بين الحقائق :

لكي يتم هذا التناسق بين بعض الأحداث ، ولكي يكون الموضوع متكاملا يجد الباحث أنه مضطر للاستغناء عن بعض الحقائق التي تجمعت لديه – لأنها لا تمس جوهر الموضوع أو لأن وجودها ضمن العرض النهائي للبحث يتعارض مع الصورة الكاملة والموحدة التي تحدثنا عنها .

فلا مفر أمام الباحث من الاستمساك ببعض الحقائق ، وصرف النظر عن البعض الآخر – وهذا الأمر يتم وفق خطة معينة في الانتقاء وليس بطريقة عشوائية وكما يقولون "اختيار المرء رائد عقله"

ومن الباحثين من يصعب عليه ترك بعض ما جمعه من مادة وشقي في جمعه – وهذا هو السبب في أننا نجد في بعض البحوث التاريخية تفاصيل لا مبرر لها ، وقد

لا تكون وثيقة الصلة بموضوع البحث ، ولا تساير الخط السليم الذي يسير عليه – ويتعذر أغلب الباحثين حين يواجهوا بهذا النقد بأنهم لم يريدوا إهمال هذا الجزء من المعلومات التي وصلوا إليها بشق الأنفس . وهذا عذر غير مقبول – فالقدرة على الانتقاء والمفاضلة مهمة في الباحث التاريخي .

وهناك مجالات أخرى أمام الباحث لنشر أمثال هذه الحقائق والتعليق عليها .. الخ . في المجالات العلمية أو غيرها دون أن يحمل ما لا يجب أن يتحمله .

وبعض الأبحاث المقدمة لجامعتنا لنيل درجة الماجستير أو الدكتوراه يمكن اختصار صفحاتها إلى النصف مثلا دون المساس بجوهر الموضوع والبحث ، بل العكس يشبه هذا الاختصار – كما ذكر أحد أعضاء لجنة المناقشة رسالة جامعية – تخليص الجسم من ورم سرطاني كان عالة عليه

وبعض الحقائق التاريخية التي تذكر في غضون البحث تمثل عقبة في سبيل التسلسل اللازم في الأفكار والأحداث وقد يكون العلاج السليم إما حذفها نهائيا أو الإشارة للحقيقة في هامش الصفحة – وقد لايستلزم الأمر أكثر من إشارة بسيطة ونرجع القارئ للمزيد من التفاصيل في مرجع أو مصدر معين أو مجموعة مراجع أو مصادر عالجت هذه النقطة الفرعية –وسنشير لهذا عند التعرض لأهمية الحاشية واستخداماتها المختلفة .

هل التاريخ يعيد نفسه؟

التاريخ ليس سرداً للأحداث ولا تسجيلاً للوقائع، ولكنه عرض لذلك كله مع التفسير والتحليل، واستخراج للعبر والدروس من هذه الأحداث.

يرفض المفكرون والسياسيون النظرية الشائعة القائلة بأن التاريخ يعيد نفسه. بعضهم يقول: إن التاريخ يعيد نفسه إن أعاد بشكل مضحك. ومع ذلك الاختلاف المتواتر، نسمع بين فترة وأخرى، تعليقا على حدث سياسي معين يقول: إن التاريخ يعيد نفسه.

هذه النظرية تحتاج وقفة لأثرها في نفوس العامة وحتى الخاصة ، فأما العامة فأثرها عليهم أنهم أحيانا يستسلمون لبعض الحوادث متذرعين بحتمية حدوثها وفقا للنظرية ، فيقولون مثلا : إنه لا فائدة الآن من إعادة أمجاد الأمة الإسلامية ، وذلك لأنها أخذت دورها في التاريخ وجاء دور غيرها من الأمم ، وهذا التبرير الاستسلامي لم

يأتي من فراغ ، بل هو عبارة عن شرح لنظرية مشتقة من النظرية الأصلية التي نحن بصدد مناقشتها.

وهذي النظرية المشتقة تقول : (إن الأمم والحضارات تمر في مراحل نمو مرتبة حسب مراحل نمو الإنسان ، فهي تولد ثم تكون في مرحلة الطفولة ثم مرحلة الشباب ثم مرحلة الرشد ثم يبدأ انحدارها مع مرحلة الشيخوخة ثم الموت) فهي دورة متكررة معادة مستندة على النظرية الأم (إن التاريخ يعيد نفسه) .
إن سبب وجود هذه النظرية – إعادة التاريخ لنفسه- هو متابعة المؤرخين والعلماء تاريخ وسير الدول والأمم والحضارات فوجدوها فعلا تمر بتلك المراحل.

و فعلا تتكرر الحوادث مع كل الدول السابقة تقريبا مع اختلافات ضرورية مثل الأماكن والأزمنة والأشخاص ، فتوقفوا عند هذه النتيجة واعلنوا النظرية (إن التاريخ يعيد نفسه) ، ولم تسلم طبيعة البشر التي الأصل فيها الاختلاف لهذه النظرية ، فانتقدت وبحثت وتوصل ناقدوها إلى النظرية المضادة (إن التاريخ لا يعيد نفسه) وما أوصل أصحاب هذه النظرية المضادة لهذه النتيجة ، إلا عدم اكتفائهم بالمتابعة والملاحظة واثبات هذا التكرار و الإعادة التاريخية .

بل تعدوا ذلك إلى دراسة الأسباب التي أدت إلى هذا التكرار فخلصوا إلى نتيجة مفادها ، أن في الكون سننا وقوانين من أخذ بها تغير حاله وانتقل من وضع لآخر ، وإن ترك الأخذ بها بقي على حالة ، مما يفسر تطور بعض الحضارات ووقوف البعض الآخر أو تباطئه عن مسيرة البشر الحضارية .

والسؤال هنا هل يجب علينا الميل لإحدى النظريتين دون الأخرى؟! وهل توجد نظرة توفيقية بين النظريتين ؟

وهنا خرجت النظرية الثالثة التي تقول : (إن أخذ البشر بالسنن هو ما يعيد التاريخ أو لا يعيده) ، فلا التاريخ إذا استبعدت السنن بقادر على إعادة نفسه ، ولا السنن دون تعامل الإنسان تملك الدفع الذاتي لإعادة التاريخ أو عدم إعادته ، هذه النتيجة التي من السهل التوصل إليها غابت عن الكثيرين عند تناول هذا الموضوع أو الاستشهاد به ، ذلك لميلنا إلى النظرة الأحادية الجانب ، وحبنا للمفاصلة بين القضايا ، مما يوقعنا في كثير من الأحيان في مشكلة الخصومة والتعصب للآراء على حساب النظر الموضوعي المحايد .

المحاضرة الحادية عشر

يقوم الباحث بتنظيم الحقائق التاريخية وتنسيقها في مجموعات أقسام وتركيزها في صيغ formules ابتغاء استخلاص خصائصها العامة والروابط القائمة بينهما . ويتم ذلك بالطبع حسب أسس وقواعد معينة .

وكانت الحقائق التاريخية في الماضي تنظم حسب تسلسلها الزمني ،فكان ينظر إلى كل حقيقة من حيث وقوعها في زمن محدود وتعلقها بشخص معين ، وجاء وقت رتبت الأحداث فيه منفصلة على حسب السنوات (الحوليات) .

لكن لم تعد هذه وسيلة مناسبة لتنظيم الحقائق التاريخية اليوم – إلا إذا كان الكاتب يكتب قصة كسائر القصص وأبطالها هم أنفسهم في كل زمان ومكان ، والتاريخ – كما ذكرنا من قبل – ليس مجرد ضم حقائق بعضها إلى بعض ، فلابد للمؤرخ من النظر في الأسباب والمسببات وتوضيح العلاقات التي تربط الحقائق بما حدث قبلها بهدف استخلاص خصائصها العامة كما ذكرنا سابقاً .

والقاعدة العامة هي اختيار الحقائق المتعلقة بنوع واحد من الأحداث وضمها مع بعضها في قسم واحد . أي تنظيم الحقائق بموجب محتوياتها وبالطبع لا يعني تنظيمنا للحقائق حسب مضمونها أننا نحيد عن إتباع التسلسل الزمني اللازم لتوضيح تطور الحقائق موضوع الدرس- لكن التنسيق يراعى فيه الأساس الزمني ، ثم الموضوعي – فيما يتعلق بالإدارة أو السياسة أو القضاء. ..الخ يضم لبعضه وفي نفس الوقت داخل القسم الواحد تنظم الوثائق والأحداث على أساس الترتيب الزمني .

ويتيح هذا فرصة للباحث لمقارنة ما كتبه أحد المؤرخين بما كتبه مؤرخ آخر، كما أن ذلك يمنع تكرار الحقيقة من الحقائق التاريخية في أكثر من موضع في البحث .

ونظام البطاقات (الجذاذات – الفيش fiches) ييسر عملية جمع المادة التي تخص موضوعاً معيناً مع بعضها وتنظيمها وتنسيقها وترتيبها ونقلها من مكان لآخر في يسر.

وعادة بعد جمع البطاقات (الجذاذات) المتعلقة بموضوع واحد أو حادثة معينة (فن ، دين ، حياة خاصة ، نظم سياسية) يعاد ترتيبها فيما بينهما بحيث أن البطاقات التي تشمل المادة الأكثر أهمية حسب مصدرها ،

والأكثر وفاء من غيرها يبدأ بها ، وتليها الأقل أهمية وهكذا .

وقد يفضل الباحث أن يرقم بعد ذلك بطاقات كل فصل أو المتعلقة بموضوع معين فيما بينها (بالقلم الرصاص) ليسهل تعديلها إن احتاج الأمر .

ويجب أن ندرك أن هذه التقسيمات لا تكون مستقلة بعضها عن بعض تمام الاستقلال ، بل بالعكس فإن من أهم مظاهر البحث الناجح في النهاية الترابط التام بين أجزائه بحيث يؤدى كل في يسر ودون افتعال لما بعده ، وبحيث نصل في النهاية إلى سلسلة مترابطة من الأحداث –وإلا ظهر البحث مهلهلاً وممزقاً ولا يخرج عن كونه عدة موضوعات لا تناسق بينهما ولا ترابط .

وأشير إلى أن لكل باحث حقه في أن يخلق لنفسه العادات وأنماط السلوك التي تلائمه في البحث – لكن كما قال أرنست رينان (E.Renan) " إن الترتيبات الشخصية هي نصف العمل العلمي" .

الاجتهاد وحدوده :

قد لا يجد الباحث في الأصول التاريخية ما يسد كل الثغرات في موضوع بحثه ، فتبقى قضايا معلقة دون أن يجد من المصادر ما يجعله يبت فيها برأي مستنداً لهذه المصادر .

وهذا شيء عادي فقد يجد الباحث في ناحية من النواحي مادة علمية غزيرة موثقة من أكثر من مصدر بينما تسكت المصادر عن حوادث هامة لا يمكن أن يهملها الباحث -ولذا فهو يسعى لملء هذه الفجوات عن طريق الاجتهاد مستنداً إلى الأمور الأخرى المرتبطة بالحادث والتي تتناولها المصادر.

وفي هذا يقول انجلو وسينوبوس " إن الوقائع التاريخية التي تقدمها لنا الوثائق لا تكفي أبدا لملأ الإطارات ملاً تاماً ، وهي لا تقدم أجوبة مباشرة عن كثير من المسائل ، ولهذا تنقص ملامح كثيرة لتأليف لوحة كاملة لأحوال المجتمع والتطورات والأحداث– ونشعر بالحاجة الملحة إلى ملأ هذه الفجوات " .

والاجتهاد نوعان هما:

الاجتهاد السلبي:

بأن يقرر الباحث أنه قلب الأمر من جميع جوانبه ، وبذل قصارى جهده ، وأطلع على جميع الأصول المتاحة- فلم يجد أي ذكر فيها للأمر الهام الذي يريد الوصول

لحقيقة حدوثه من عدمه – وبناء على هذا يلتزم بقول المناطقة " أن السكوت حجة " ويعبر عنها (بحجة الصمت) .

ومن قبيل ذلك مثلاً قضية تخلي المتوكل على الله آخر خلفاء العباسين عن حقوقه في الخلافة للسلطان سليم العثماني – وقد أثيرت هذه القضية ومازالت مثارة .

وقد سكتت المصادر التاريخية المعاصرة عن ذكر هذه الحادثة فلم يشر إليها مثلاً ابن إياس بشيء .

كما أن الأوراق الرسمية ، والخطابات المتبادلة بين السلاطين العثمانيين (السلطان سليم وابنه سليمان) – لم تشر إليها ، كذلك نقوش ذلك العهد والعملة التي ترجع لعهدي السلطان سليم والسلطان سليمان القانوني لم تشر إلى أن السلطان العثماني اتخذ لقب (أمير المؤمنين) .

وعلى هذا الأساس يذهب بعض المؤرخين إلى أن هذه أدلة قاطعة بعدم حدوث هذا الأمر .

لكن الدكتور أسد رستم – رغم هذا – فقد انتهى اجتهاده في هذا الأمر إلى أنه رغم سكوت هذه المصادر كلها عن ذكر واقعة التنازل هذه – فهو لا يستطيع أن يجزم بها لسببين :

١-لا يستطيع الجزم – بأن المصادر التي رجع إليها هي جميع المصادر الموجودة التي ترجع لهذا العصر .

٢-هناك احتمال أن هذا الحادث قد ذكره أصل أو أكثر وفقدت بعد ذلك هذه الأصول .

وهذا يعطينا مثلاً للحذر والدقة التي يجب أن يتحلى بهما الباحث في مثل هذه الأحوال فلا يتسرع في الحكم ، فليس انعدام كل الوثائق التي تحت أيدينا يعد الفيصل .

الاجتهاد الايجابي :

فيعني أن الباحث يستنتج حقيقة لم ترد في النصوص التاريخية التي تحت يديه لكنه يبنى استنتاجه على حوادث أخرى مماثلة – أو ما يمكن أن نطلق عليه (نظرية التماثل) .

وهذا النوع من الاستنتاج أو الاجتهاد الايجابي بالطبع يخضع أيضاً لقواعد وحدود .

فاجتهاد الباحث هذا يجب أن يكون قائماً على أساس مبادئ عامة منطقية مستمدة من حوادث التاريخ المتعددة . وتكون القضية موضوع الاجتهاد والاستنتاج جزء من قاعدة عامة معترف بصحتها .

فهو يقيس أمراً لم تتعرض له وثائقه ونصوصه بأمور أخرى مشابهة حدثت في نفس الظروف والملابسة – في هذا الوضع لدينا قضيتان : الأولى عامة ، والثانية خاصة .من أمثلة ذلك أن نجد مثلاً مدينة تحمل اسما فينيقيا لكن المصادر التي تحت أيدينا لا تذكرها ضمن المدن التي أنشأتها الفينيقيون وسكنوها مع أن القاعدة العامة هي أن الفينيقيين حين كان يتجمع عدد كاف منهم في مكان وينشئون مدينة يطلقون عليها اسما فينيقيا.

في ضوء هذه الحقيقة العامة الكلية الصحيحة يمكن أن أصدر حكمي بأن المدينة ذات الاسم الفينيقي على الرغم من أن مصادرى لم تذكرها ضمن المدن الفينيقية هي مدينة فينيقية أنشأها الفينيقيون واستوطنوها والبعض يطلق على هذه العملية قياس النظر (analagie)

وهي تشبه مايطلق عليه علماء المسلمين (الاستنباط بالقياس) .

ثالثا ـالتعليل والتحليل والإيضاح:

لاتقف مهمة الباحث التاريخي عند الوصول إلى الحقائق التاريخية ليقدمها لنا صحيحة ودقيقة مؤيدة بالمصادر التي تثبت سلامتها لكنه مطالب أيضا أن يحاول بقدر الإمكان معرفة الأسباب والعلل التي أدت إلى حدوث الوقائع التاريخية .

والحاجة إلى الارتفاع فوق مجرد مشاهدة الوقائع من أجل تفسيرها وتعليل أسبابها هي حاجة أساسية في كل العلوم .

والتاريخ ليس علما من علوم الملاحظة بل هو "علم برهنة" أيضا

ولما كان التاريخ علم يخضع لمنهج العلمي في البحث فالأسباب والعلل التي يقدمها الباحث يجب أن تكون منطقية مقنعة متمشية مع كافة الظروف المحيطة بالأحداث .

والحقيقة أن هذا الدور من أدوار البحث العلمي يعطي فكرة عن شخصية الباحث وقدرته على التحليل وعلى ربط النتائج بمسبباتها.

وبالطبع هناك أشياء تساعد الباحث على الوصول للعلل والأسباب السليمة الصحيحة منها مثلا "الدراسة المقارنة" .

وان كانت أحداث التاريخ لا تتشابه كلها في الظروف المحيطة بها لكن مثل هذه الدراسة تساعد على الوصول إلى الأسباب الحقيقة للحوادث والإلمام بكافة الظروف المحيطة بالحادث يساعد على الوصول للعلل السليمة أن الباحث عليه أن يلم بكل المتغيرات في المجتمع الذي يدرس تاريخه وأن يسأل نفسه دائما عن تأثيرها وما يترتب عليها من نتائج .

وعلى الباحث أن يسأل نفسه عدة أسئلة لعلها تصل به إلى العلل المنطقية للأحداث منها :

لماذا حدث هذا ؟

هل هناك سوابق مماثلة ؟

لو تغير الأشخاص الذين تدور حولهم الأحداث هل كانت النتيجة تتغير ؟

إذا حدث تغير مافي المجتمع هل تتغير النتيجة ؟

ما أكثر العوامل فاعلية في الوصول للنتيجة التي أسفرت عنها الأمور ؟

فمثلا إذا كان الأمر يتعلق بموقعة حربية نسأل أنفسنا عن دور القادة والجنود وحالتهم المعنوية والعددية وأسلحتهم ومدى فاعليتها والخطط العسكرية والمكان الذي حدثت فيه المعركة والأحوال المناخية وغير ذلك من العوامل التي يعترف رجال الحرب أنها تؤثر في نتائج المعارك .

ولعلنا لو سألنا أنفسنا هذا السؤال : لو حدث أن ثبتت جميع العوامل وحدث تغير في عامل واحد منها تكون نفس النتيجة ؟ وهكذا نصل عن طريق مثل هذه الأسئلة إلى العلل والأسباب السليمة للأحداث .

لقد أثار البعض في هذه المناسبة التساؤل القديم هل يعيد التاريخ نفسه؟

أن التاريخ لا يعيد نفسه لكن الأسباب ذاتها لو تكررت في نفس الظروف تماما لكانت النتيجة غالباً واحده . وعلى أساس هذا المنطق العلمي تبنى فلسفة التاريخ باعتباره علم يخضع إلى حد كبير أو بالأصح يمكن أن تخضع حقائقه للعقل والمنطق .

ويمكن أن نجد لأحداثه عللا أو أسبابا منطقية طالما إننا توصلنا لكافة الظروف المحيطة بهذه الأحداث .

" أن الباحث يجب أن ينتهي به الأمر إلى ذلك التفكير المنطقي الذي يلاحظ ويجرب ويحلل ويركب ويصفف ويعمم ويبرهن ويحلل ..."

فالمؤرخ يعني كل العناية بالوقائع يجمعها ويفهمها ويناقشها ويحللها ويستخلص منها ما يستخلص من نتائج وأحكام .. وعندما تغزر المادة أمامه يختار منها ما يرى, واختيار المرء رائد عقله" .

وهكذا بعد أن ينتهي الباحث من جمع كل مادته من المصادر والمراجع المختلفة ويجري عليها ما سبق توضيحه من عمليات التدقيق والترتيب والتحليل والتنظيم والتعليل إلى غير ذلك مما سبق توضيحه .. يستطيع أن يخطو الخطوة الحاسمة الأخيرة وهي مرحلة كتابة البحث .

المحاضرة الثانية عشر

أولا: أقسام البحث (فصوله):

-البحث وحدة متكاملة .

-المقدمة وما تتناوله .

-الفصل التمهيدي واختلافه عن المقدمة .

- عنوان الفصل .

- مباحث الفصل وقيمة ذكرها في بداية الفصل .

ثانيا- الأسلوب وطريقة العرض :

-سلامة الأسلوب وسهولته وسلامة اللغة .

- الأمانة العلمية .

- الاقتباس من الأصول والمراجع ونقدها .

- الأعلام الأجنبية .

ثالثا- الهوامش :

الاستخدامات المختلفة لها.

رابعا- خاتمة البحث :

اختلافها عن المقدمة والتمهيد .

خامسا- ملاحق البحث :

الوثائق غير المنشورة والمنشورة

الخرائط .

دراسة لشخصيات واردة في البحث .

بيانات أخرى يرى الباحث إلحاقها بالبحث .

سادسا- مكتبة البحث :

أقسامها ومحتوياتها .

ما يراعي في تنظيم كل قسم منها .

سابعا – فهرس البحث :

مكانه – مشتملا ته التفصيلية وقيمته .

ثامنا- ملخص البحث :

لغته – عدد صفحاته – مشتملا ته .

يحتاج الباحث في هذه المرحلة _ مرحلة عرض موضوعه بالطريقة العملية السليمة أن يلم بعدة نواحي :

١ _ أقسام البحث (فصوله)

٢ _ الأسلوب السليم الذي تعرض به المادة العلمية .

٣ _ الهوامش والاستخدام السليم لها .

٤ _ خاتمة البحث وما يجب أن تشتمل علية .

٥ _ الملاحق .

٦ _ مكتبة البحث .

٧ _ فهرس الأعلام .

٨ _ الفهرس العام ومشتملا ته وقيمته .

٩ _ الملخص .

أقسام البحث (فصوله)

البحث يجب أن يكون في صورته النهائية وحدة متكاملة متناسقة لا نشاز فيها .

ويبدأ البحث بمقدمة _ يشرح فيها الباحث دوافع اختياره لموضوع البحث ،ولماذا شعر أن هذا الموضوع جدير بالبحث ، كما يعطي فكرة عن المصادر التي رجع إليها وأماكنها والمراجع التي جمع منها مادته العلمية والقضايا الهامة التي استطاع عن طريق المصادر أو المراجع معالجتها ، والنقاط التي لم يجد في المصادر ما يشفي الغليل عنها ، وكيف تغلب على هذه العقبة .

كذلك قد يعطي فكرة عن الفصول التي قسم البحث إليها _ وقد يختم المقدمة بشكر الذين عاونوه خاصة من لا تلزمهم وظائفهم بذلك ولكن قاموا بهذا العمل خدمة للبحث العلمي .

كل ذلك في إيجاز بقدر الإمكان ، وفي اسلوب علمي بعيد عن المبالغة ،ولا محاولة الإسراف في إظهار الجهد بأنه جهد فريد لم يأت بمثله الغير .

فالمفروض أن يترك الباحث للغير مهمة تقدير جهده _ ولكنه يقدم عمله باتزان وبطريقة تدل على شخصية متكاملة تتحلى بكل صفات الباحث .

ويحسن أن يتحدث الباحث من الألفاظ ما ينم عن صفة التواضع العلمي .. فلا يكثر من الإشارة لنفسه _ ويكفي مثلا ان يقول : وقد قام الباحث بكذا .. وكذا بدلا من تكرار ضمير المتكلم . وليس أجمل من أن يشيد بفضل الآخرين عليه قبل أن يشيد بما قام به هو فهذا سيرفع من قدره في نظر الآخرين . والمقدمة على كل حال يجب ألا تتجاوز بضعة صفحات .

ولأن المقدمة هي عرض لأهمية البحث وللمشكلات التي واجهت الباحث ، وكذلك لموضوعات البحث فمن الأفضل أن تجاد صياغتها بعد الانتهاء من البحث . ليجري عليها التعديلات ما يتناسب وما انتهى إليه البحث .

أما البحث ذاته فرغم أنه يعرض في شكل فصول متعددة فقد يبدأ بفصل تمهيدي وينتهي بالخاتمة _ لكنه يجب أن يمثل كله في النهاية هيكلا متكاملا بحيث أن كل فصل من فصوله يؤدى بيسر وبتسلسل منطقي للفصل التالي . والبحث الناجح يستطيع القارئ أن يتابع فصوله في انسجام تام ، فالفصول ما هي إلا حلقات في سلسلة واحدة كلها مترابطة تؤدي كل حلقة لما بعدها وهكذا ، والكل في النهاية يتناول موضوعا

واحدا هو موضوع البحث .

وأي خلل في هذا التسلسل يدل على عدم التخطيط السليم للبحث

وبالطبع يختلف هذا التقسيم للفصول حسب طبيعة البحث .

وكما سبق أن ذكرنا أن الباحث يضع تصميما مبدئيا لهذا التقسيم لكنه يجري عليه من التعديل والتبديل بالحذف والإضافة أو ضم فصل إلى أخر أو نقل قضية إلى مكانها الطبيعي ، كل ذلك في ضوء ما يسفر عنه الوضع من خلال المصادر والمراجع والمادة العلمية التي حصل عليها الباحث .

هذا كله يتم في حدود الوحدة الكاملة والفترة الزمنية التي حددها الباحث

لبحثه .

وجدير بالذكر أن الفترة التي يتناولها البحث لا تحدد اعتباطا . فالبحث يبدأ من نقطة محدودة وينتهي عند نقطة أخرى يفرضها التسلسل التاريخي للأحداث والانتقال من مرحلة لأخرى .

والباحث قد يضطر أيضا في ضوء مصادره ومراجعه أن يراجع نفسه فيعدل من فقرة البحث باتفاق مع أستاذه المشرف ، ولابد في هذه الحالة من أن تخطر الجهات الرسمية لإجراء التعديل في الفترة الزمنية المتعلقة بالبحث .

وعلى كل يجب أن يسأل الباحث نفسه لماذا حدد بحثه في هذه الفترة الزمنية ؟

ويجب أن يتوقع أن هذا السؤال ذاته يوجه إليه وأن يكون مستعدا لرد مقنع عليه إذا وجه إليه .

وكل فصول البحث التاريخي يجب أن تكون في نطاق الفترة الزمنية المحددة للبحث . وكما قلنا أنها كلها حلقات في سلسلة واحدة تنتهي في النهاية إلى موضوع البحث بمفهومه التاريخي والزمني داخل حدود الفترة التي ارتضاها الباحث وحدد نفسه بها في بحثه .

لكن قد يحس الباحث انه بحاجة لفصل تمهيدي يعرض فيه لأحداث سابقة لفترته الزمنية ، لكنها ضرورية للتمهيد لموضوعه في حدود فترته الزمنية _ ولا بأس من ذلك .

وهذا الفصل التمهيدي يعتبر من فصول البحث _ وهو بخلاف المقدمة _ لكن يجب ألا يوغل الباحث في هذا الفصل _في البعد عن الأحداث التي يتكلم عنها تاريخياً أو يذهب به الشطط إلى معالجة أمور تسبق موضوع بحثه بقرون _ وقد ينتهي به الأمر إلى سرد معلومات عامة معروفة ، في حين أنه مطالب _ كما ذكرنا من قبل _ بأن يضيف جديدا في كل ما يكتب، إما عن طريق تنظيم جديد أو تصحيح لأفكار متداولة أو غير ذلك على أساس وثائقه ومصادره ..الخ .

فلا يغيب عن الباحث ما ذكرناه من أن الفصل التمهيدي جزء من فصول بحثه ينطبق عليه كل الشروط الواجب توافرها في كل فصل من فصول البحث أو في كل ما يرد في البحث من حيث الوحدة والتكامل والتجديد والإضافة والتهميش ..الخ

وقد يعنى في كثير من الأحيان أن يرجعنا الباحث في المسائل السابقة لفترة البحث الخارجة عن نطاقه إلى أبحاث أخرى أو مصادر أو مراجع، ويكتفي هو بالمواضيع الهامة الوثيقة الصلة ببحثه والتي يستطيع فعلاً أن يأتي فيها بجديد .

وكثيرون من الباحثين أخذ عليهم أن فصلا من الفصول سواء أكان الفصل التمهيدي أو غيره لم يأت الباحث فيه بجديد وأن الفصل كله يعتبر عبئا على البحث لو استبعد لا ينقص البحث شيئاً .

هذا ولسنا بحاجة لأن نؤكد أن الباحث التاريخي في كل ما يكتب يجب أن يلتزم بالترتيب الزمني للأحداث . فلا يتحدث عن فترة زمنية ثم يعود لفترة سابقة وهكذا . فهذا تخبط غير مقبول ويدل على أن الباحث يفتقر للصفات الأساسية التي يجب أن

تتوفر في من يتعرض للكتابة التاريخية ، وبالطبع لكل فصل عنوانه الذي تدور حوله كل أبحاث الفصل .

ويحسن بالباحث أن يوضح في بداية كل فصل من فصول بحثه النقاط الهامة (المباحث) التي عالجها الفصل ، فهذه تكون بمثابة مرآة يهتدي بها هو كما يهتدي بها القارئ لمشتملات الفصل ، وتساعد في إدراك مدى الترابط بين النقاط التي يعالجها الفصل ، وتظهر للباحث نفسه النقاط الشاذة التي لا تنسجم مع موضوع الفصل وعنوانه ، ومع باقي النقاط التي يعالجها .

ويحسن أن يفتتح الفصل ببضعة سطور تهيئ ذهن القارئ لما سوف يتناوله الفصل ، كما يصح أن ينتهي الفصل بفقرة تبين أهم ماوصلنا إليه من نتائج في هذا الفصل ، وفي هذا تمهيد للفصل التالي _ كما ذكرنا_ سابقا .

والباحث الناجح تكون نهاية كل فصل من فصوله بداية طبيعية للفصل التالي دون افتعال .

ويحسن أن تكون فصول البحث متوازنة في عدد صفحاتها _ ولا يعنى هذا أن تكون عدد صفحاتها متساوية تماما فهذا غير مستطاع _ لكن التخطيط السليم ، والتقسيم السوي للموضوع يؤدى عادة إلى هذا

التناسق المرغوب فيه .

الأسلوب وطريقة العرض :

يجب أن يكون الباحث قادرا على عرض أفكاره والتعبير عن الآراء التى وصل إليها بأسلوب علمي سلس وسهل ، في صيغ موجزة (forinuies) وأفكار جلية مع السلامة اللغوية .

وقد صدق أنجلو وسينوبوس حين قال (لا يكون المؤرخ كاملا من غير لغة جيدة) .

وبهذا يبتعد الباحث عن استعمال الألفاظ الصعبة وعن المبالغات التي لا مبرر لها ، وعن التعقيد . فجمله وتراكيبه بسيطة غير معقدة ، ولا يحاول تقليد غيره ، فهو لا يكتب أدبا بأسلوب أدبي مثير .

وأسوأ ما يؤخذ على الباحث أن تتعدد الأخطاء اللغوية بطريقة تؤثر على تقويم البحث . وفى بعض الجامعات الأوربية يرفض البحث تماما أذا وصم بهذه الوصمة

، فالذي لا يستطيع أن يعبر عن أفكاره بلغة سليمة وسهلة وبسيطة ودقيقة ليس جديرا بكتابة البحث العلمي.

وقد عبر عن ذلك الفيلسوف الفرنسي تين بقوله (أن أسلوب المؤرخ يجب أن يتصف بالدقة المركزة والبساطة الأخاذة)

ويجب أن يتعود الباحث على التعبير السهل البسيط ، وأن يراجع ما كتبه للتأكد من سلامته من الناحية اللغوية ، وهو مسئول حتى عما شاع في أبحاثنا بما نطلق عليه تعبير (الأخطاء المطبعية) فتصحيحها مسئولية الباحث قبل تقديم بحثه .

والبعض يلجأ بعد تقديم البحث إلى أن يلحقه بقائمة أو قوائم تصويبات ، وكثيرا ما يؤخذ هذه قرينة على كثرة ما في البحث من أخطاء ، وعلى تسرع الباحث في تقديم عمله قبل أن ينتهي منه على الوجه الأمثل .

ما يجب مراعاته أثناء العرض التاريخي:

_ الأمانة العلمية :

هي صفة مهمة من صفات الباحث ، وتتجلى في أن ينسب المعلومات التي يذكرها كلا إلى مصدرها الصحيح الذي رجع إليه فعلاً ، فلا يتجاهل مصدراً ، ولا ينسب لنفسه أشياء من استنتاجاته أو جهده .

وبعض الباحثين يأخذ مادة من مرجع من المراجع التاريخية لكنه يشير في هامش بحثه إلى المصدر الأصلي الذي أخذ منه هذا المرجع دون أن يجهد نفسه في الرجوع للأصل

وهذا خطأ إذا انزلق إليه الباحث مرة وأخذ عليه اهتزت الثقة تماما في كل ما يكتب .

_ الاقتباس من الأصول والمراجع والنقد :

من المفروض أن يكتب البحث كله بلغة الباحث ، وأن يشير في (الهامش) إلى الأصول التاريخية التي تعرضت للواقعة موضوع البحث _ لكن قد يجد الباحث من الضروري أن يقتبس بضعة فقرات من هذه الأصول ، يستدل بها على حقيقة ما ويناقشها . لكن ينصح ألا تزيد الفقرة الواحدة المنقولة بالنص عن بضعة سطور .

وبالمثل في حالة الاقتباسات الحرفية من كتاب أو مرجع يحسن ألا تتعدى الفقرة المنقولة ثلاثة أو أربعة سطور .

ويحسن عند ذكر أراء المؤرخين الآخرين سواء أكانت من المصادر الأصلية أو المراجع أن تناقش ، وتعقد مقارنات بينها وبين أقوال الآخرين ويبدي الباحث في النهاية وجهة نظره .

ويحترم الباحث آراء الآخرين حتى أذا لم تتفق مع رأيه هو ولا يستخدم قط ألفاظا تنم عن الاستهانة بوجهة نظر الغير أو الإقلال من شأنهم أو عدم الاعتداد برأيهم .

فمن صفات الباحث _ كما ذكرنا _ التواضع واحترام رأي الغير وجهده وهذا لا يتعارض مع واجب الباحث في التعليق على الأحداث ومناقشة الآراء والبحث عن العلل والأسباب وراء الأحداث ففي هذا تظهر شخصية الباحث وكفاءته وقدرته على مناقشة الآراء المختلفة . والرجوع بالأحداث إلى أسبابها وعللها الصحيحة .

فالقاعدة كما يقول الفيلسوف الفرنسي تين h.tain((بعد جمع الوقائع _ ابحث عن العلة والسبب))

وفي حالة الاقتباس من مصدر أجنبي تترجم الفقرة المأخوذة إلى اللغة العربية السليمة ويشار في الهامش إلى مصدرها .

وإذا وجد الباحث انه بحاجة لإيراد الفقرة المأخوذة بلغتها الأصلية لسبب علمي _ يمكن أن يوردها أيضا في الهامش بعد ترجمتها في المتن للغة العربية _ لغة البحث. ويجب أن يضع الباحث في ذهنه أن القارئ لم يطلع على المصادر التي رجع هو إليها . ولذا فعليه في عرضه للحقائق أن يقدمها واضحة كاملة جلية مع أدلتها وبراهينها ومع الإشارة لأماكنها ليسير لمن أراد الرجوع إليها مهمته .
وعند كتابة الأعلام (أي أسماء الأشخاص أو الأماكن .. الخ ..)
الأجنبية تكتب باللغة العربية حسب نطقها في لغتها ثم بين قوسين باللغة الأجنبية وذلك لضمان سلامة نطقها. وذلك على الأقل في أول مرة يذكر فيها العلم في البحث . وعلى الباحث أن يراعى أنه عند ذكر مكان أو موضع أو واقعة جديدة أو علم من الأعلام أو غير ذلك مما يبدو غامضا وفي حاجة إلى تفسير لأول مرة أن بشير في الهامش إليه ، كأن يرجع القارئ إلى رقم الخريطة _ في البحث _ التي عين عليها الموقع أو يعطى شرحا أو تفسيرا لشئ غامض لا يريد أن يحدث بلبلة بتوضيحه في المتن فيشرحه في الهامش ، أو يعرف بالشخصية التي ذكرها لأول مرة .

المحاضرة الثالثه عشر

الهـوامـش

تكتب الهوامش في أسفل صفحات البحث بعد أن يضع الباحث سطرا قصيرا أسفل الصفحة ، ويعمل حساب عدد سطور الهامش
والبعض يجمع هوامش كل فصل على حدة في نهاية الفصل ، والطريقة الأولى مفضلة لأنه أيسر على القارئ تتبع الهامش الموجود في نفس الصفحة من الرجوع بين حين وآخر لنهاية الفصل .

والهامش لا يقل أهمية عن صلب البحث بل أنه الدليل على الجهد الذي بذله الباحث ، وعلى مدى اعتماده على المصادر والمراجع وتدعيم بحثه بها .

وظائف الهوامش

- الإشارة إلى المصادر التي استقى منها الباحث مادته في الفصل الذي يكتبه

ويوضح الرقم في المتن في نهاية الفقرة المراد الإشارة إلى مصدرها في الحاشية .

ويحسن أن نبدأ بعد ذلك في المتن فقرة جديدة من أول سطر جديد ، وتراعى في كتابة المصادر والمراجع في الحاشية الأمور الآتية :

(أ) يكتب رقم الحاشية ، ثم يذكر اسم المؤلف أولا ،وبعده نقطتان أفقيتان ، ثم اسم الكتاب ورقم الجزء وأرقام الصفحات .

(ب) ترقم الحاشية كلها بأرقام عربية من جهة اليمين حتى إذا كان المرجع أو المصدر أجنبيا حتى لا يضطرب الأمر في الصفحة الواحدة .

(ج) يلجأ البعض لترقيم حواشي الفصل الواحد كلها أرقاما مسلسلة _ لكن الأفضل أن نبدأ برقم جديد في كل صفحة منعا لأي خطأ قد يربك ترقيم الفصل كله . خاصة إذا كنا سنلتزم بإيراد الحاشية في أسفل كل صفحة وليس في نهاية الفصل كله .

(د) نحرص في المراجع _ أن نذكر أسم الشهرة (العائلة family name) للمؤلف أولا، ثم اسمه الخاص ، وقد يكتفي بذكر الحروف الأولى من اسم المؤلف.

(هـ)وبالطبع يذكر اسم المرجع باللغة التي استخدمه بها الباحث .

فإذا كان قد استخدم ترجمة باللغة العربية مثلاً لكتاب يكتب بيانات الحاشية باللغة العربية ويشار إلى أن الكتاب مترجم ، ويذكر اسم المترجم ومكان نشر الترجمة وسنة الطبع .

(و) إذا كان المصدر عبارة عن مخطوط يذكر ذلك بين قوسين بعد اسم المصدر .

مثال

(١) المقريزي ، تقى الدين : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار جـ ١ ص ٦٠ .

(٢) العيني ، بدر الدين محمود : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (مخطوط) جـ ١ ص ٦٠ .

(٣) S,Albert Nyanza and the

(ز) والبعض يرى من الضروري أن يذكر اسم المؤلف . واسم المصدر بالكامل ، طالما أن الإشارة تدل بوضوح ودون لبس عليهما ، على أن يذكر المؤلف والمصدر كاملين فيما بعد في مكتبة البحث .

ولا بأس من ذلك _ فيشار للمراجع السابقة الذكر في حاشية هكذا :

(١) المقريزي : الخطط جـ ١ ص ٢٠

(٢) العيني : عقد الجمان (مخطوط) جـ ١ ص ٦

(٣) Baker : Albert Nyanza. Vol. p.p 20.25.

(ح) اذا تكرر ذكر نفس المرجع في الهامش مباشرة يكتفي بالإشارة إلى المؤلف ويكتب هكذا :

المقريزي : نفس المرجع والجزء ص ٢٠

_ وفي حالة المرجع الإفرنجي يشار إليه هكذا : (١) Ibid.p.

لكن إذا تكرر المرجع في نفس الصفحة بعد مراجع أخرى أو حين يتكرر ذكره في صفحات تالية يشار إليه هكذا :

المقريزي : مرجع سابق ص ٢٠ .

وفي حالة المرجع الأجنبي نذكر اسم المؤلف وبعد الرمز

Op .Cit. (٢)

ثم رقم الصفحة _مثلاً :

Baker : Op. Cit. p.30.

(ط) وإذا كان للمؤلف الواحد أكثر من كتاب مستخدم في البحث فلابد من الإشارة في كل مرة إلى اسم الكتاب المستخدم تميزا له .

٢ _ أما الاستخدام الثاني للهوامش فيكون للإشارة لحوادث مماثلة لما في المتن _ ويخشى إذا وضع في صلب البحث _ أن يفسد الترتيب الزمني للأحداث .

٣ _ كذلك تستخدم الحاشية للإشارة إلى رقم الخريطة بملحق البحث لتوضيح بعض البلدان أو للإشارة لجدول أو صورة أو غير ذلك فيقال مثلاً : انظر للخريطة رقم ٢ بملحق البحث .

٤ _ كذلك يستخدم الهامش لشرح أو توضيح معنى اصطلاح أو تعبير وجد الباحث أنه لا يصح وضعه في المتن .

٥- كذلك يستخدم الهامش للإشارة إلى أن قضية عولجت في مكان أخر في البحث وذلك لكي يتجنب الباحث التكرار .

٦- وقد يستخدم الهامش لتصويب لفظ ورد في الأصل وحرص الباحث أن يذكره في المتن بنصه لكن يشير لصحته في الحاشية .

وهكذا يستخدم الهامش لذكر تفاصيل وإشارات وتوضيحات وللإحالة على مصادر أو مراجع أخرى في البحث .

وتظهر في الهوامش مهارة الباحث ودقته من حيث الحرص على الإشارة لمصادر معلوماته ومراجعه .

كذلك قدرته على توضيح وشرح كل جديد في بحثه أو ربطه بالأحداث السابقة أو المماثلة دون أن يفسد الترتيب الزمني لأحداث البحث أو يضع في صلب البحث ما ليس متصلا به اتصالا كاملا ومباشرا ودون أن يحدث اضطرابا في تسلسل الأفكار التي تناولها .

خاتمة البحث

تختلف الخاتمة عن المقدمة كما تختلف عن التمهيد .

ففي الخاتمة يجمل الباحث النتائج المتعددة التي وصل إليها بعد كل هذا الجهد .

يجملها في إيجاز دون الدخول في تفاصيل ولا يجب بحال ما أن يناقش الباحث في الخاتمة قضية جديدة فمجال مثل هذه القضايا والمشاكل البحث نفسه بفصوله المتعددة وليس الخاتمة .

ولذا تقتصر مهمة الخاتمة على إبراز النتائج التي توصل إليها الباحث والإضافات الجديدة التي أضافها لمعلوماتنا السابقة وما صححه من أراء متداولة .

ولذا لا تتعدى الخاتمة عادة بضعة صفحات .

لكن لها أهميتها بلا شك فهي تمثل خلاصة النتائج التي توصل إليها الباحث .

وقد يشير فيها الباحث في النهاية إلى القضايا الأخرى التي لم يصل فيها لنتيجة حاسمة أو إلى المرحلة التالية التي ستكون موضع بحث آخر له في المستقبل .

ملاحق البحث :

-قد يكون لدى الباحث من الوثائق الأصلية غير المنشورة ما يريد أن يلحقه ببحثه أو قد تكون بعض الوثائق قد نشرت لكن في كتاب يصعب حصول الباحث عليه .

وإذا كانت الوثائق التي سينشرها الباحث كثيرة بحيث يصبح حجم الرسالة غير معقول يحسن أن يكون الملحق مستقلا بذاته إلا إذا اقتصر الباحث على نشر مختارات فقط من الأصول التاريخية التي رجع إليها .

والوثيقة تنشر عادة بلغتها بل وبأخطائها اللغوية إن وجدت .

لكن يحسن أن يكون هناك بيان (فهرس) بالوثائق مع شرح وتعليق على كل منها باللغة العربية المنشورة بها الرسالة وكذلك تفسير لما غمض من كلمات أو عبارات الوثائق في الهامش حتى لا يقتصر مجهود الباحث في هذه الوثائق على مجرد النقل دون إضافة جديدة تدل على مهمة الوثيقة ومحتوياتها وانه استخدمها فعلا لخدمة البحث ولذا يجب أن يعطي في سطور قليلة فكرة عن مضمون الوثيقة وذلك إما في فهرس الوثائق أو في مقدمة كل وثيقة .

وقد يشير الباحث للوثائق الأخرى المنشورة في كتب أخرى معروفة إذا كان قد استخدمها في بحثه ولا يريد تكرار نشرها على أن يشير إلى اسم مؤلف الكتاب وسنة الطبع ورقم الصفحة الواردة فيها الوثيقة ولا بأس أيضا من أن يورد شرحا لهذه الوثائق كما فعل في الوثائق غير المنشورة .

-وقد تشتمل ملاحق البحث على الخرائط التي تخدم البحث وتوضح الأماكن أو المواقع الهامة .

والبعض يفضل أن تكون كل خريطة في مكانها مع الفصل الذي تخدمه بينما يرى البعض أن تكون الخرائط كلها في ملحق البحث خاصة إذا كانت الخريطة الواحدة تخدم أكثر من فصل واحد وانه لذلك مضطر للإشارة اليها في الحاشية باستمرار .

وفيما يتعلق بالخرائط فهي ضرورية ومهمه في كثير من البحوث حيث تتعدد المدن والموقع وغير ذلك فلا يجب أن يشير الباحث للمدينة أو الموقع ويترك للقارئ أن يبحث هو عنها في الأطالس وغيرها فهذا جزء من عمله هو .

والخرائط يحسن أن تكون بحجم مناسب يسهل الاستفادة منها ويذكر مصدرها والصفحة ويضعها في ذلك كوضع الحاشية بالضبط ويشار إن كان الباحث قد نقلها كما هي أم أجرى عليها تعديلا .

ويحسن أن ترسم الخرائط كلها بحجم واحد وان تكتب بياناتها بخط واضح وان يقوم بذلك مختصون وتكون مهمة الباحث توضيح البيانات التي يريدها على الخريطة .

ولكل خريطة عنوان يوضح مدلولها ودليل يشرح بياناتها .

والخريطة لابد أن تخدم البحث فيجب ألا يكون الأمر مجرد إضافات لا مبرر لها للبحث .

-قد يرى الباحث أن يلحق ببحثه دراسة لشخصية أو لشخصيات وردت في البحث ولعبت دورا هاما في الأحداث .

المصادر والمراجع

يشتمل البحث على قائمة تفصيلية بالأصول والمصادر والمراجع والدوريات التي رجع إليها الباحث .

و يقدم الباحث تقرير يوضح فيه قيمة الأصول والمراجع بالنسبة لبحثه وكيف استفاد من كل هذا إذا لم يكن قد قام بذلك في مقدمة البحث ذاته .

فقد ذكرنا انه مطالب بأن يوضح لماذا اختار الكتابة في هذا الموضوع بالذات وقد يؤدي هذا لأن يتعرض للمصادر التي وضع يده عليها ولبعض المراجع التي عالجت الموضوع وقد يشير إلى بعض وجهات النظر المختلفة في هذه المراجع .

وعادة يتبع التقسيم الآتي :

١-وثائق غير منشورة : تذكر بياناتها التفصيلية مشتملة على :

أ-مكان الوثيقة بأرقامها ، وتاريخها .

وتنظم فيما بينهما إما في مجموعات أو تاريخيا أو حسب أماكنها والباحث يستطيع بفطنته أن يجد النظام الأمثل لترتيبها .

ولعل بعض هذه الوثائق وردت كاملة في ملحق البحث لكن هذا لا يعني أن نهمل ذكرها في قائمة المصادر.

الوثائق المنشورة

تذكر المراجع التي نشرت فيها الوثيقة وسنة الطبع والصفحة وعدد المجلدات وغير ذلك من البيانات التوضيحية .

وترتب فيما بينها ترتيبا زمنيا أو حسب أماكن نشرها أو في مجموعات حسبما يراه الباحث مناسبا .

٣-المراجع العربية :

يذكر اسم المؤلف أولا (اسم الشهرة – أو العائلة (Family Name) .

ثم بقية الاسم وبعده نقطتان أفقيتان ثم أسم الكتاب كاملا وبيان الأجزاء المستخدمة

وإذا كان المرجع المستخدم مترجما يشار للمترجم أمثلة لذلك :

- الدوري ،عبد العزيز : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب (بيروت ١٩٦٠)

- انجلز ، فردريك : التفسير الاشتراكي للتاريخ . (ترجمة راشد البراوى – القاهرة ١٩٤٧) .

وترتب المراجع أبجديا بحسب أسماء المؤلفين وتستبعد عند الترتيب أداة التعريف (ال) .

ونحرص هنا في مكتبة البحث على أن نكتب أسماء المؤلفين والكتب والبيانات عنها كاملة .

مراجع أوروبية

يراعي فيها نفس الملاحظات السالفة الذكر من حيث كتابة اسم المؤلف (اسم الشهرة أو العائلة) ثم بقية الاسم كاملا أو مجرد رموز فاسم الكتاب والأجزاء المستخدمة منه .

وترتب فيما بينها أبجديا حسب أسماء الشهرة للمؤلفين

الدوريات

يقصد بها المجلات التي تصدرها الجمعيات والهيئات العلمية المتخصصة والجامعات بمختلف اللغات والتي تنشر فيها آخر الأبحاث وأحدثها وهي كما أشرنا من قبل لها أهمية خاصة لانتظام صدورها مما ييسر نشر أحدث الأبحاث بها .

ويذكر اسم كاتب المقال بنفس الطريقة السالفة ثم عنوان المقال واسم الدورية والعدد وتاريخ صدوره.

فهرس الأعلام

تشتمل بعض البحوث على العديد من الأعلام (الأشخاص أو الأماكن) التي يرد ذكرها في أماكن متفرقة من البحث .

عمل فهرس أبجدي لهذه الأعلام يوضح فيه الأماكن المختلفة من البحث التي ورد فيه ذكر كل منها لييسر للقارئ مهمة للرجوع لهذه الأعلام في أماكنها المتعددة .

ـ فهرس البحث :

وينتهي به البحث ليوضح الأبواب والفصول بأرقام صفحاتها.

المحاضرة الرابعة عشر

مراجعه عامة

- **لفظ تاريخ ومدلوله لغة واصطلاحا.**
- أطوار الكتابة التاريخية: السرد – ال**تدوين – النقد – التحليل**
- محاولات تدوين الأحداث التاريخية الأولى: المصريين القدماء
- **ثم البابليين – الإغريق – الرومان.**
- المسيحية فكرتين ا- التفاؤل بالطبيعة الإنسانية ب- والثانية هي التي تقر بوجود قيم أبدية خالدة تكمن وراء عملية التغيير التاريخي
- **العصور الوسطى :** الرجوع المصادر التقليدية دون أن يقوموا بنقدها
- **في عصر النهضة الأوربية:** عاد الناس إلى تقسيم التاريخ بوصفة دراسة اجتماعية تستند إلى اسلوب علمي
- **العصور التاريخية**
- **التاريخ عند العرب: فلم يكن هناك تاريخ كما هو معروف من هذا اللفظ اليوم (بمفهومه علم التاريخ) ولكنهم كانوا يتناقلون**
- **كان العرب قبل الإسلام يحددون الأوقات بالنجوم والأهلة**
- **أخباراً متفرقة.**
- **أيام العرب :**
- **لم يكن للأخبار والروايات في البداية أسانيد**
- **أيام العرب**
- **علم التاريخ عند المسلمين:** كان للمؤرخين المسلمين قدم راسخة في إبراز منهجية علم التاريخ.

- **التاريخ بين العلوم الأخرى** - التاريخ نوع من الأدب – ليس علما – علم يعتمد على الملاحظة والتجربة – أحد فروع العلوم الاجتماعية والإنسانية.
- **لا شك في أن دراسة التاريخ تحقق العديد من الفوائد .** فيرى البعض أن دراسة التاريخ تنشط الفكر وتشحذ الذهن، فالتاريخ أداة لرياضة العقل. بينما يرى آخرون أن دراسة التاريخ _ دون سواها أصلح الدراسات لتعويد الإنسان الفضائل الخاصة والعامة . **تتخذ** بعض الدول من التاريخ الذي يدرس في المدارس وسيلة لنشر المبادئ التي تؤمن بها.
- **التاريخ وعلاقته بالعلوم الأخرى**
- **الجغرافيا**
- **الاقتصاد: ماركس وتفسيرا اقتصاديا محضا للتاريخ.**
- **الأنثروبولوجى: يلقي الضوء على حياة الإنسان الأول**
- **علم الآثار**
- **علم المسكوكات**
- **علم الوثائق**
- **الأختام - علم اللغة.**
- **الصفات الواجب توفرها في المؤرخ**
- الصبر - الدقة والأمانة
- الحياد والنزاهة - عدم استخدام التعميمات المسبقة
- الالتزام بالحقيقة المجردة - النقد والتحليل
- ظهور شخصية الباحث - التأمل الهادئ
- الاستدلال: ملكة الربط بين الأحداث المتعددة
- قبول الرأي الأخر - المعرفة الزمنية للأحداث
- الموضوعية التامة - التواضع - سهولة الألفاظ

يمر البحث التاريخي في عدة مراحل

- **اختيار موضوع البحث**
- أهداف البحث التاريخي في المرحلة الجامعية الأولى:

١- تدريب الدارسين على كيفية الإلمام بالعناصر الرئيسية لموضوع تاريخي .

٢- تدريبهم على كيفية التركيز على المهام من المعلومات بحيث يستطيع الدارس أن يعطى تصوراً كاملاً لموضوع ما في صفحات قليلة .

٣- استخدام المكتبة ومعرفة – كيفية التعامل معها.

٤- تكوين عادة القراءة الجادة عند الدارسين

٥- معرفة المنهج السليم للبحث التاريخي

- **ملاحق البحث من خرائط ووثائق وموضعها من البحث وقيمتها . الطريقة الصحيحة لكتابة (هوامش) البحث**
- **اختيار الموضوع في الدراسات العليا: تتطلب تعمقاً أكثر وإضافة جديدة في موضوع البحث .**
- **السيمينار**
- **مدة البحث الزمنية**
- **المصادر والمراجع**
- أماكن الحصول على المراجع
- **المراجع (الببليوجرافيا)**
- **الدوريات التاريخية**
- **الفيش**
- **دور المحفوظات(الوثائق) وأرشيف وزارات الخارجية**
- **أرشيف وزارات الخارجية**
- **الأشخاص الذين لهم اتصال بالأحداث**

- **نقد الأصول التاريخية**

النقد الباطني (الداخلي) :١- نقد باطني إيجابي فيقصد به تحليل النص التاريخي للوصول إلى المعنى السليم للألفاظ كما قصد بها الكاتب .

٢- نقد باطني سلبي .الشك المنهجى.

أسباب عدم ذكر الحقيقية التاريخية:

- أسباب سياسية أو حربية أو قومية
- الوقوع تحت ضغط ما فينحرف
- قد تكون للكاتب مصلحة معينة
- يجوز أن يكذب إرضاء للجمهور
- أسلوب الكاتب نفسه

ترتيب المادة التاريخية

أولا – الاستفادة من المادة التي جمعها الباحث (العمليات التركيبية):

***بناء النسيج التاريخي المتجانس من المادة الخام المجموعة (الربط بين المعلومات والآراء المتعددة)**

***تعديل المشروع الأولى للبحث في ضوء المادة المجموعة .**

***تنظيم الحقائق التاريخية حسب قواعد محددة .**

***مراعاة التسلسل التاريخي والترابط بين الأحداث والموضوعات.**

***المقارنة بين الأحداث المتشابهة .**

- **التعليل والتحليل والإيضاح**
- **الربط والتأليف بين المعلومات المتعددة**
- **الانتقاء أو المفاضلة بين الحقائق**

أسس تنظيم الحقائق التاريخية

- الاجتهاد وحدوده
- الاجتهاد السلبي
- الاجتهاد الايجابي : الاستنباط بالقياس
- كتابة البحث
- أولا: أقسام البحث (فصوله) ثانيا- الأسلوب وطريقة العرض
- ثالثا- الهوامش رابعا- خاتمة البحث
- خامسا- ملاحق البحث
- الهـوامـش
- خاتمة البحث
- ملاحق البحث
- المصادر والمراجع
- فهرس الأعلام

.....

تم بحمد الله